خصائص الأسلوبية للإنصاف في نونية عبدالشارق بن عبدالعُزَّى الجهني

د/ عبدالهادي أحمد سيد عبدالعال*

مقـدمـة

الحمد لله رب العالمين، حمدا توجبه سوابغ نعمه، ولنعمة واحدة لا يوفيها بعض حقها حمد الحامدين، دهر الداهرين، وأبد الآبدين، وصل اللهم وسلم وبارك وأنعم على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد،،،،،

فقد كنت أقرأ شرح المرزوقي على ديوان الحماسة، وما أن بلغت هذه القصيدة إلا ووقعت مني موقعاً، جعلني أحفظها من أول مرة، ثم إذا بي ـ بعد ذلك ـ أجدني أرددها في نفسي، ولا أستطيع إلا تكرارها كلما خلوت وحدي، فعزمت أن أكتب عنها ـ لا مختاراً ـ إي وربي ـ وأن أظهرها للنور، وأخرجها للجمهور، فوجدتها قائمة على إنصاف عبدالشارق خصمه، حتى أطلق عليها بعض النقاد اسم(مُنْصفَة)، وأدرجوها ضمن القصائد المنصفات[1]، فهداني تأملها إلى دراسة الخصائص الأسلوبية التي قامت عليها القصيدة، والتي كشفت أوجه ذلك الإنصاف وأدواته، فكانت هذه الدراسة بهذا العنوان "الخصائص الأسلوبية للإنصاف في نونية عبدالشارق بن عبدالعزى الجهني[2]".

تناولت فيها هذه الخصائص التي أنصف بها شاعرنا عدُوَّه، وصَدَقَ عنه وعن نفسه فيما ذكره من صفات قومه، وصفات عدوه، وما نال كلاً منهما من ويلات المعركة التي دارت رحاها بينهما، مخالفا بذلك مذاهب أغلب الشعراء في عصره, محاولا ـ قدر الاستطاعة ـ الكشف عن هذه الخصائص، وربطها بشخصية الشاعر، وتلمُّس صفاته من خلالها ـ كما سيتضح إن شاء الله ـ ولم يكن من همي في هذه الدراسة تحليل القصيدة، أو الموازنة بينها وبين غيرها إلا بقدر ما يكشف عن خصائص الإنصاف فيها(الذي قامت عليه هذه الدراسة).

---

* المدرس في قسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بالمنوفية .

القصيـــــدة: [٣]

١ ألا حُييـــت عنـــا يـــا ردينـــا نحييهـــا وإن كرُمـــت [٤] علينـــا
٢ ردينـة لـو رأيـت غـداة جئنـا علـى أضـماتنا وقـد احتوينـا[٥]
٣ فأرسـلنا أبـا عمـرو ربيئـا[٦] فقـال ألا انعمـوا بـالقوم عينـا
٤ ودسـوا فارسـا مـنهم عـشاء فلـم نغـدر بفارسـهم لـدينا
٥ فجـاءوا عارضـا بـردا وجئنـا كمثـل السيف[٧] نركـب وازعينـا
٦ فنـادوا يـا لبهثـة إذ رأونـا فقلنـا أحـسني ضـربا جهينـا[٨]
٧ سمعنا دعوة [٩] عن ظهر غيب فجلنـا جولـة ثـم ارعوينـا
٨ فلمـا أن توافقنـا قلـيلا أنخنـا للكلاكـل فارتمينـا
٩ فلمـا لـم نـدع قوسـا وسـهما مـشينا نحـوهم ومـشوا إلينـا [١٠]
١٠ تلألـؤ مزنـة برقـت لأخـرى إذا حجلـوا بأسـياف ردينـا
١١ شـددنا شـدة فقتلـت مـنهم ثلاثـة فتيـة وقتلـت قينـا[١١]
١٢ وشـدوا شـدة أخـرى فجـروا بأرجـل مـثلهم ورمـوا جوينـا
١٣ وكـان أخـي جـوين ذا حفـاظ وكـان القتـل للفتيـان زينـا
١٤ فـآبوا بالرمـاح مكـسرات وأبنـا بالـسيوف قـد انحنينـا
١٥ فـآبوا بالـصعيد لهـم أحـاح ولـو خفّـت لنـا الكلمـى سـرينا

المتأمل في القصيدة يجدها على ستة أجزاء :

الأول: ما ذكره في مطلعها من تحية محبوبته وتوديعها، أو الدعاء لها أن يتولاها الله من دونهم ـ لفخامة موقعها منهم، وجلالة محلّها من قلوبهم ـ استعدادا لما هو مقدمٌ عليه مما لا يؤمَن معه العود إليها ثانية، الذي يؤخذ من اصطفاء الافتتاح بـ (ألا) لتنبيه المخاطب[١٢]، وتهويل الخبر والاهتمام والعناية به [١٣]، وجاء ذلك في البيت الأول:

ألا حُييت عنا يا ردينا ∴ نحييها وإن كرُمت علينا

الثاني:ما ذكره عقب هذا المطلع من التخلص إلى بثّها حالهم وما وصل إليه أمرهم من حزازات في النفس، وحُرْقَة في الصدر، وجاء ذلك في البيت الثاني:

ردينة لو رأيت غداة جئنا ∴ على أضَمَاتنا وقد احتوينا

الثالث: ما ذكره من اقتصاص حالهم وحال عدوهم قبل المعركة واستعدادات الفريقين لها، من خلال إرسال كل فريق فارسا ليعرف سرَّ الفريق الآخر وعلانيته، وعُدَّتَهُ وعَدَدَه، وعدم غدر كل من الفريقين برسول خصمه، وجاء ذلك في البيتين(٣،٤):

فأرسلنا أبا عمرو ربيئا ∴ فقال ألا انعموا بالقوم عينا

ودسوا فارسا منهم عشاء ∴ فلم نغدر بفارسهم لدينا

الرابع: ما ذكره في وصف هيئة الجُنْدَيْن عند مجيئهم، ومَشْي كلٍّ إلى الآخر، وندائهم، وجاء في الأبيات: (٥، ٦):

فجاءوا عارضا بردا وجئنا ∴ كمثل السيف نركب وازعينا

فنادوا يا لبهثة إذ رأونا ∴ فقلنا أحسني ضربا جهينا

الخامس: ما ذكره من اقتصاص الحال الدائرة بينهم لما التقى الجيشان من تراشق بالنبال، وارتماء بالسهام حتى نفادها من كليهما، ثم مشي كل فريق إلى الآخر، وحملته عليه، ثم ما أصاب منه، وذلك في الأبيات (٧ ـ ١٣) :

سمعنا دعوة عن ظهر غيب ∴ فجلنا جولة ثم ارعوينا

فلما أن تواقفنا قليلا ∴ أنخنا للكلاكل فارتمينا

فلما لم ندع قوسا وسهما ∴ مشينا نحوهم ومشوا إلينا

تلألؤ مزنة برقت لأخرى ∴ إذا حجلوا بأسياف ردينا

شددنا شدة فقتلت منهم ∴ ثلاثة فتية وقتلت قينا

وشدوا شدة أخرى فجروا ∴ بأرجل مثلهم ورموا جوينا

وكان أخي جوين ذا حفاظ ∴ وكان القتل للفتيان زينا

السادس: ما ختم به من تَنَاصُف الفريقين ويلات المعركة، وعودة كلٍّ مُثْخَناً بآثارها، وذلك في البيتين (١٤،١٥):

فآبوا بالرماح مكسرات ∴ وأبنا بالسيوف قد انحنينا

فآبوا بالصعيد لهم أحاح ∴ ولو خفّت لنا الكلمى سرينا

وبهذا تنتظم أجزاء القصيدة في سلك واحد يجمعها، وغرض عام يسري في كل جزئياتها، وخيط دقيق يربط آخرها بأولها، هو التحذير من الحرب والإقرار بما تنتجه من ويلات وخسائر ومصائب على المنتصر والمهزوم معا، مما يُعَدُّ نتيجة مفروضة لا مجال لنكرانها، ولا مندوحة للتغاضي عنها، فضلا عن إدانة ذلك اللون من التطرف المفرط في الفخر، والغلو الشديد في ذم الخصم، مما يورث العداوات، ويثير الأضغان، ويؤجج مشاعر الثأر والانتقام، ومن ثم مضى - بأخلاق الفرسان ونبلهم وشهامتهم - يرفع قدر خصمه في ساحة النزال، وينصفهم في شجاعتهم وبسالتهم ورجولتهم، متوصلا إلى ما تركته من ويلات وآلام على الفريقين، وهذا ما ختم به:

فآبوا بالرماح مكسرات ∴ وأبنا بالسيوف قد انحنينا

فآبوا بالصعيد لهم أحاح ∴ ولو خفّت لنا الكلمى سرينا

صلة المطلع بالمقصد في القصيدة :

هذه القصيدة قالها عبدالشارق بن عبدالعزى الجهني وقد وقع خصام بين جهينة رهط عبدالشارق وبين بني بُهْثَة نزاع وخصام - يوضحه ويؤكده قوله:

ردينة لو رأيت غداة جئنا ∴ على أضماتنا وقد احتوينا

- وتطور الأمر إلى اقتتال بينهما انتهى بتعادل الفريقين بعد أن أبلى كل منهم بلاء حسنا؛ إذ أذاق كل منهما الآخر نكاله ووباله، وفَقَدَ كلاهما أعز أبطاله، وهذا شأن الحرب دائما أبدا، وتلك محض حقيقتها - (لا منتصرا على الإطلاق، ولا منهزما لم يَرْم بسهم أو يضرب بسيف، لا انتصارا مطلقا لطرف، وخسارة مطلقة للآخر) - تلحق ويلاتها الفريقين معا على اختلاف النتيجة، وتباين الأثر، وهو ما يوجب التحذير منها؛ لأن خائضها لا يؤمن نجاته، والذاهب إليها لا

يتأكد عَوْدُه، ما يستلزم توديع أحبته وأهله على فخامة موقعهم منه، وجلالة محلهم من قلبه، وهو ما افتتحت به القصيدة:

ألا حُييت عنا يا ردينا ∴ نحييها وإن كرُمت علينا

وبهذا أضحى المطلع معرضا تجلت فيه قدرة الشاعر[١٤]على التأثير الذي به ملك قلب سامعه، استدراجا لما يأتي بعد ـ وهذا ما حرص عليه عبدالشارق ـ لما فيه من استدعاء القبول، وعطف القلوب بحسب ما في الطباع...

علاقات الجمل ومعاقد الكلام في القصيدة:

لعل الناظر في القصيدة يجدها قد بنيت وتفرعت عن مشهد التوديع الذي ينبئ عن شدة الخطب وخطورته في مطلعها، منبهاً على أن عودة خائض الحرب وهلاكه سيَّان ، بل ثانيتهما أقرب من الأولى، خاصة وقد اشتدت حزازات النفس، واحتراقات الجوف من الغيظ والحقد ـ التي أفصح عنها حذف جواب "لو"، واصطفاء(احتوينا) ـ على اختلاف الروايات فيها كما سيتضح عند تحليل ذلك إن شاء الله ـ ، ثم عطف بالفاء في البيت الثالث :

فأرسلنا أبا عمرو ربيئا ∴ فقال ألا انعموا بالقوم عينا

ليدل على الترتب والتتابع؛ لما فيها معنى السبب الذي يؤكد الربط، ويجعل ما بعدها مع ما قبلها في حكم الشيء الواحد [١٥]؛ لأن إرسال من ارتبأ لهم مرتب على ما ذكر - من مجيئهم لملاقاتهم على ما بينهم من حزازات وإحن - ومسبب عنه، ثم تتابع العطف بالفاء في قوله :

فجاءوا عارضا بردا وجئنا ∴ .....

وقوله:

فنادوا يا لبهثة إذ رأونا ∴ فقلنا أحسني ضربا جهينا

وقوله:

..... ∴ فجلنا جولة ثم ارعوينا

وقوله:

فلما أن تواقفنا قليلا ∴ ..... فارتمينا

وقوله:

فلما لم ندع قوسا وسهما ∴ .....

وهكذا ترى وقع الأشياء والأحداث في ترابط محكم، وتلاحق بيّن، وتتابع يصور تسارعها في نفسه الواثقة المنصفة، ثم تتوالى الأبيات الثلاثة التالية في معرض إنصاف خصمه، والاستدلال على صنوف بطولتهم، ومكافأتهم لقومه:

..... ∴ مشينا نحوهم ومشوا إلينا

تلألؤ مزنة برقت لأخرى ∴ إذا حجلوا بأسياف ردينا

شددنا شدة فقتلت منهم ∴ ثـــــلاثة فتية وقتلت قينا

وشدوا شدة أخرى فجروا ∴ بأرجل مثلهم ورموا جوينا

ثم تأتي خاتمة القصيدة:

فآبوا بالرماح مكسرات ∴ وأبنا بالسيوف قد انحنينا

فآبوا بالصعيد لهم أحاح ∴ ولو خفّت لنا الكلمى سرينا

في معرض النُّصْفَة والعدل في القسمة بينه وبين خصمه؛ إقرارا بما أنتجته الحرب من ويلات وخسائر ومصائب عليهما معا، وهو عود إلى ما حذَّرَ منه، ووَدّع أحبته من أجله في المطلع.

وهكذا تجد مقاطع القصيدة مبنية على ما ذكره أولاً من توديع أحبته خوفا من عدم عودته، ثم أخذ في قص حالهم على العداوة، وحزازات النفوس، والحقد في الصدور، ثم تطور الأمر إلى الاقتتال، وانتهى بتناصف الآلام، وفقد بعض الأبطال.

ولهذا تجد إحكاماً في ربط معاقد الكلام وبناء الجمل عن طريق وجوه ثلاثة:

١ ـ أنها بنيت وتفرعت على معنى واحد هو إنصاف الخصم والاعتراف بقوته وشجاعته، ما دعاه إلى توديع أحبته قبل الخروج لملاقاته في المطلع الذي أعقبه بالتهويل المنبئ بالتحذير مما هو مقدم عليه مما لا يرجى معه العودة ـ تناسلت منه أفكارها ومعانيها وأبياتها، فهي كلها في إنصاف الخصم، والتحذير من الحرب.

2. عن طريق التلاحم التام وشدة الارتباط بين أجزائها، وتسلسلها، وترقيها في الدلالة على مرادها، حتى انتهت بما يصل إلى غاية ما به وله بدأت.

3. عن طريق حروف العطف، فتجد العطف بالفاء وبالواو شائعاً في القصيدة؛ للدلالة على التسبب أو الترتيب، إذ هي جميعها في نسق نصفة الخصم، والإقرار بالحق، والتحذير من نتائج الحرب على كلا المتحاربين.

الخصائص الأسلوبية للإنصاف في نونية عبدالشارق بن عبدالعزى الجهني

١ ـ الخصيصة الأولى: الجمع بين الفريقين، وهي أقوى الخصائص الأسلوبية، وأدلّها على النصفة والعدل بينهما؛ لأن هذا الجمع يجسد التناصف في أبهى صوره، حيث التسوية التامة بين الفريقين، وقرنهما معا، والتعبير عنهما بضمير الجمع (نا) الذي يجمعهما معا، وهو ما يبرز الجانب الخلقي الرفيع الذي عرفته الطبيعة العربية السليمة، وجُبلت عليه الأخلاق الأصيلة[١٦]، ويشهد أن الجانب الخلقي في حياة الفرسان لا يقل تميزا ووضوحا عن جانب البطولة، وأن البطولة الخلقية تقترن عندهم بالبطولة الحربية في كثير من الأحيان[١٧]؛ إذ يُنَحّي الفارس الشاعر المقاتل في ميدان الكلام ـ منتصرا أو غير منتصر ـ تحَيُّزه وعصبيته جانبا، ويرى عدوَّه في عدل وإنصاف وصدق وحيدة، ومن ثم أثنى على بطولة فرسانه، وأبَّن قتلاهم بمثل تنويهه ببطولة قومه وتأبينه قتلاهم؛ ليعطي المتلقي صورة حقيقية عن شجاعته ونبل أخلاقه بذكر ما له وما عليه، مخالفا بذلك مذاهب أغلب الشعراء في فخرهم الطاغي الذي يصل إلى المبالغة المقيتة، التي لا ترى الأشياء على حقيقتها، ولا تقر بنتائجها، بل الغلو المفرط الذي تطغى فيه صورة القبيلة المزهوّة بانتصارها وأمجاد فرسانها والإشادة ببطولاتهم، أما خصومهم فصورتهم مُغَيّبة، لا تظهر إلا في مواقف الإذعان والهزيمة والانكسار، وحالهم مذرية لا يبدو منها إلا العجز المطلق، والضعف الشديد، وكأنهم ـ لضعفهم ووهنهم وعجزهم ـ لم يرفع أحدهم سيفا أو يرم بسهم.

وهو ما صنعه كثير من الفرسان المفاخرين، منهم عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته[١٨] التي احتفلت بها تغلب وحفظتها وتناقلها رواتها وتوارثها أبناؤها جيلا عن جيل، ومن نماذج ذلك قوله:

أَبا هِنـدٍ، فَلا تَعْجَلْ عَلَينا ∴ وَأَنْظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليَقينَا
بِأَنّا نُوردُ الرّاياتِ بِيضاً ∴ ونُصْدِرُهنّ حُمراً قَد رَوِينَا[١٩]

وقوله:

متى نَنقُلْ إلى قومٍ رَحَانَا ∴ يكونوا في اللِّقاءِ لَهَا طَحِينَا[٢٠]

وقوله:

نُطاعِنُ ما تَراخَى النّاسُ عنّا ∴ ونَضرِبُ بالسّيوفِ، إذا غُشينَا
بسُمرٍ مِنْ قَنَا الخطيّ لُدْنٍ ∴ ذَوابِلَ، أَو بِبِيض يَختَلِينَا
نَشُقّ بها رُؤوسَ القَومِ شَقّاً ∴ ونخليها الرّقابَ فَيَخْتَلِينَا
كأن جَماجِمَ الأبطالِ فيها ∴ وُسُوق بالأماعِزِ يَرْتَمِينَا[٢١]

وقوله:

نَجُذّ رُؤوسَهُم، في غَيرِ بر ∴ فما يَدرُونَ ماذا يَتّقُونَا
كَأَنَّ سُيُوفَنا فِينَا وَفِيهِمْ ∴ مَخَاريقٌ بِأَيْدي لاعِبِينَا
كَأَنَّ ثِيابَنا مِنّا وَمِنْهُم ∴ خُضبْنَ بأُرْجُوانٍ أَو طُلِينَا[٢٢]

وقوله:

وَقَدْ عَلِمَ القَبَائِلُ غيرَ فَخْرٍ ∴ إذا قُبَبٌ بِأَبْطَحِهَا بُنِينَا
بِأَنَّا العاصِمُونَ، بكل كحل ∴ وَأَنَّا الباذلون لمجتذينا
وَأَنَّا المطْعِمُونَ، إذا قَدَرْنَا، ∴ وَأَنّا المُهْلِكُونَ، إذا ابتلِينَا
وَأَنّا المانعونَ لما أَرَدْنا ∴ وأَنّا النّازِلونَ بِحَيْثُ شَينَا
وأنا المانعون لما يلينا ∴ إذا ما البيض زايلت الجفونا
نُطاعِنُ ما تَراخَى النّاسُ عنّا ∴ ونَضرِبُ بالسّيوفِ إذا غُشينَا

بـسُمرٍ مِـنْ قَنَـا الخطـيّ لُـدْنٍ ∴ ذَوابِـــلَ، أَو بِبِـــيض يَختَلِنَـــا

وقوله:

وَنشْرَبُ إنْ وَرَدْنا، الماءَ صَفواً ∴ وَيَشْرَبُ غَيْرُنا كَدَراً وطِينَا

..... ∴ .....

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ∴ ونبطش حين نبطش قادرينا(٢٣)

وقوله:

مَلأْنا البَرَّ حتى ضاقَ عَنّا ∴ ونحن البَحرَ نَملَؤهُ سَفِينَا

إذا بَلَغَ الفِطَامَ لَنا وليدٌ ∴ تَخِرُّ لَهُ الجَبابرُ ساجِدينَا(٢٤)

ذلك المشهد الذي لا تبرز فيه سوى القبيلة والتعصب لها، وعدم الإقرار بالآخر أو الاعتراف به، ومن ثم يستخدم الضمير في(نفعل)، و(فعلنا)، و(نحن)، و(لنا)، و(إنا)، وأمثالها؛ دلالة على حضور القبيلة وقوتها وسيطرتها، أما غيرهم فهم الأذلاء التابعون المنكسرون المنهزمون ... .

هذا الفخر الطاغي وإن لاءم مقام الإهانة والانتقاص والاستعباد لأمه التي تعرض لها عمرو، غير أنه يناكد طبيعة الحرب التي تصيب قروحها، ويذوق ويلاتها المنتصر والمهزوم معا، مع اختلاف النتيجة، وتباين الأثر، ولا تكون ـ ألبتة ـ انتصارا مطلقا لفريق وهزيمة مطلقة للآخر.

ما جعل بعض شعراء بني بكر بن وائل يهجوهم ـ بسبب ذلك ـ بقوله:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة ∴ قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبدا مذ كان أولهم ∴ ياللرجال لشعر غير مسئوم(٢٥)

وهو ـ أيضا ـ ما يناكد ويناقض الرجولة والفروسية؛ لأن انتقاص الخصم انتقاص للمفاخر وقومه؛ إذ تنعدم الفروسية والبطولة والشجاعة بالنصر على خصم ضعيف أو مجرد عن سلاحه، بل إن بعضهم يذهب إلى أبعد من ذلك فيتمدّح بطلب المبارزة بالسيف الذي لما سأل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عَمْرًا بن معديكرب عن أنواع السلاح وانتهى إليه قال:"عنده تَثْكَلُ الأمهات"(٢٦).

فضلا عن أنهم كانوا يعدون الأخذ على غرّة ، والضرب من الظهر لونا من ألوان الغدر.

ومن ثم فإنصاف الخصم، وكسوته مزيدا من الهيبة والشجاعة أكثر بلاغة وأقوى في الفخر من التهجم عليه وتجريده من كل قوة، وتعريته عن أي بطولة، فكلما كان الخصم قويا كان الفخر أقوى، والنقيض بالنقيض، انظر إلى قول الشاعر:

ألم تر أن السيف يُنْقِصُ قدرَه ∴ إذا قيل: إن السيف أمضى من العصا(٢٧)

فضلا عن كونه ـ الإنصاف ـ شاهدا على ثبات الخلق ورسوخ الأصول في النفس؛ لأنه نتاج تفاعل صفات عالية جمة، أهمها: الشجاعة، والعدل، وصدق النظرة، وصفاء النفس، وسداد الحكمة، والقدرة على تحدي الطبيعة البشرية المفطورة على حب الذات، والتسامي بها إلى ذروة المراتب الشامخة الذرى...(٢٨).

ومن ثم اختاره شاعرنا ـ عبدالشارق بن عبدالعزى الجهني ـ الذي عادل ووازن ـ في إنصاف وحيدة ـ بين فخره بقومه وشدة بأسهم وشجاعتهم، وبين أعدائه وما وصفه من أحوالهم في موقف التنافر والتفاخر، والتزم الأمانة في تقرير حقيقة الخصم، والشهادة له بما هو فيه، من غير أن يحذف شيئا، أو يشوه جمالا، وتلك أعلى درجات الشجاعة والعدل، وأقوى أدلة عظمة النفس، وأصالة الخلُق، وسلامة الطبع التي يوصف بها العظماء الذين يقهرون النفس، ويجعلون ولاءها للحقائق لا للأهواء، ولا يكذبون أنفسهم، ولا يموّهون عليها بزعم سيئاتهم حسنات، ونقائصهم ميزات، وفي المقابل يجعلون حسنات أعدائهم سيئات، ومميزاتهم نقائص وهنات(٢٩).

والجمع بين الفريقين في القصيدة له طرق:

الأولى: التعبير عنهما بضمير الجمع للمتكلم (نا) الفاعلين، وهو أول ما يتلقانا في القصيدة بعد المطلع مباشرة، ما يشهد ببنائها على معنى التسوية بين الفريقين، وقيامها على النصاف والحيدة في الحديث عنهما، وقد جاء في خمسة مواضع:

١ ـ قوله :

ردينة لو علمت غداة جئنا ∴ على أضماتنا وقد احتوينا

الذي جمع فيه الفريقين وعبر عنهما بضمير(نا) في (جئنا، أضماتنا، واحتوينا)، وهو ما أميل إليه وأرجحه في بيان المقصود من الضمير؛ لأنه هذا الجمع أول ما بنى عليه عبدالشارق منصفته تلك، إذ بدأ بإنصاف أعدائه في المشاعر الإنسانية (الحقد والبغضاء والغيظ([٣٠])) فوصف الحال التي جاء عليها الفريقان، من حزازات النفس، واحتراقات في الجوف والصدر من الغيظ والحقد[٣١] الذي احتوته قلوبنا كل فريق للآخر، أو وقد حوى كل فريق من أوال عدوه، وملأ أيديه من غنائمه ـ هذا على رواية (وقد احتوينا) بالحاء.

وعلى رواية (اختوينا) بالخاء يكون المعنى: وقد خوت أفئدة كل من الود، على حد قول بشر بن أبي خازم ([٣٢]):

وإذ صفرت عياب الود منكم ∴ ولم يك بيننا فيها زمام ([٣٣])

أو يكون المراد: وقد تهيأنا للحرب فلم نَطْعَم، وكانوا يتخففون للحرب ، ويكرهون أن يُقتل الرجل منهم، أو تصيبه طعنة في بطنه أو ضربة فيخرج منه الطعام فَيُعَيَّر بذلك، وفيه وجه آخر، هو أن الأمعاء إذا امتلأت كان أخذ الطعن منها أكثر(٣٤).

أو يكون المعنى: وقد خلت من كل شيء إلا الغضب ، وهو قريب من الأول([٣٥]).

ويروى (اجتوينا) بالجيم([٣٦]): افتعال من الجوى، وهو داء الجوف، والحُرْقة وشدَّة الوَجْدِ من عِشْقٍ أَو حُزْن([٣٧])، قال ابن فارس:"الجيم والواو والياء أصلٌ يدلُّ على كراهة الشيء...([٣٨])" كأنه يريد ما اشتملت عليه الجوانح من العداوة التي أحرقت القلوب، وهو ما رجحه المرزوقي والتبريزي؛ لملاءمته وتناسبه مع الغضب المفاد من التعبير بـ (أضماتنا)([٣٩]).

ويرجح ما ذكرت ـ من أن الضمير(نا) في المواضع الثلاثة (جئنا، أضماتنا، احتوينا) للفريقين، وأن البيت إنصاف في المشاعر الإنسانية(الكراهية والحقد

والغضب)، ومشاركة في الأفعال المقترنة بها هذه الضمائر ـ أن المعارك لا تكون إلا بمجيء الفريقين معا، وقد بلغ الغضب من كليهما مداه، واستحال الصلح.

كما أن التفخيم والتهويل المفاد من حذف جواب الشرط الذي بُني عليه أسلوب البيت، وقام عليه معناه لا يتحقق إلا بمجيئهما هذا المجيء، فهو أبعد في التهويل والتخويف، وأقوى في التفخيم من مجيء طرف واحد على هذه الهيئة.

كما أن الغضب والكراهية والحقد المفاد من(أضماتنا) لو كان من فريق واحد، ولم يكن من الآخر لما خرج الفريقان إلى أرض المعركة، ولكان الأمر مجرد غارة يقوم بها الفريق المُغضَب الكاره، ومعطيات الأمر تؤكد غير ذلك؛ إذ تبين أن كلا الفريقين كاره غاضب قد جاء به غيظه وكرهه إلى مكان الموقعة، وأن الأمر لم يكن مجرد غارة لفريق كاره على الآخر، بدليل ذكره ما يفيد أن قومه أرسلوا فارسا يرتبئ لهم، وأعداؤه دسوا فارسا ليعرف سرهم ، ثم بيان مشي قومه إلى عدوهم، ومشي عدوهم إليهم(مشينا نحوهم ومشوا إلينا).

ثم تصوير تسارع عدوهم وإقبالهم على كثرتهم بقطع السحاب مملوءة بالبرد، وإقبال قومه بالسيف لا يرده أو يقف في طريقه شيء....إلخ.

كل هذا وغيره يؤكد أن الكره والغيظ يشترك فيه كلا الفريقين، ولا ينفرد به واحد من دون الآخر.

أما قوله: (احتوينا) ـ على رواياته المختلفة ـ فهو ـ أيضا ـ مما يشترك فيه الفريقان؛ لأنه لو خلا فريق من التهيؤ والاستعداد للحرب لَهُزم، ونهاية المعركة شاهدة بغير ذلك وأنه لا منتصر ولا مهزوم، وكذلك لو خلا فريق منهما من الغضب، أو صفا وبقيت له ذرة من ود لغريمه لما قامت الرب بينهما بالأساس، أو لأصبحت غارة من فريق على آخر، وهو ما يناكد ما حدث في الحكاية عنها.

ومن ثم فهو هنا يجمع بين الفريقين في الغيظ والحنق والبغض حال مجيئهما لموقع المعركة، والاستعداد والتهيؤ لها، من غير أن ينتصر لفريق على الآخر في ذلك.

٢ ـ (نركب وازعينا) في قوله:

فجاءوا عارضا بردا وجئنا ∴ كمثل السيف نركب وازعينا

الذي صور فيه إقبالهم نحوه، وتعجلهم إليه بقطع السحاب في أن لهم حفيفا ووقعا شديدا متهافتا، وإقبال قومه نحوهم في عزم ومضاء بالسيف يقطع ما يعترض طريقه، ولا يستطيع أحد رده، ثم جمع بين الفريقين من خلال التعبير عنهما بضمير الجمع في (نركب وازعينا) الذي يوضح فيه أن الفريقين قد جاءا في مشهد مهيب له وقع شديد، لا يستطيع أحد ـ كائنا من كان لكثرتهما وإتيانهما على ما يعترض طريقهما ـ ضبطهما؛ لأنهما لا ينقادان لمن يريد تنظيمهما، فكيف يطاوعان من أراد ردهما أو كفهما؟

وهذا ما يقويه تثنية (وازعينا) بناء على أن المراد بها اختلاف الطائفتين من الخيلين([٤٠])، وأن لكل واحد من العسكرين وازع هو أميرهم الذي يأمرهم وينهاهم ([٤١]).

ويمكن أن يكون المراد بالتثنية الكثرة على عادتهم في نحو(لبيك وسعديك) ([٤٢])، وعليه لا يكون هذا الموضع من مواضع الجمع بين الفريقين من خلال التعبير عنهما بضمير واحد (نا)، والأول عندي ـ أقوى وأولى.

٣ ـ (تواقفنا، وأنخنا، و ارتمينا) في قوله :

فـلما أن تواقفنا قليلا ∴ أنخنا للكلاكل فارتمينا

الذي يتحدث فيه عن التهيؤ والتعبية للمعركة، وتداعي الأبطال للمبارزة، واعتراضهم بين الصفين للمطاعنة ([٤٣])، وهو ما يكون من الفريقين كليهما، فكل يتهيأ للمعركة، وينزل للتراشق بالنبل بعد المطاردة، وإلا فلو كان المقصود به قوم الشاعر فحسب لكان الضمير في (أنخنا، فارتمينا) نقطة ضعف لديهم تؤدي إلى هزيمتهم؛ لعدم المكافأة بين من يرمي راكبا ومن يرمي راجلا، وهو ما لا يصدر عن فارس منصف مثله.

والمعنى ـ كما ذكر المزوقي ـ أنا بعد المطاردة نزلنا، وأنخنا للصدور فتناضلنا([٤٤])؛ إذ فسره بـ (تناضلنا) وهي مفاعلة لا تتأتى من طرف واحد، بل لا بد أن تكون من طرفين.

كما أن الضمير لو كان لقوم الشاعر وحدهم = وهو لا يصح ولا يكون؛ لأن الوجه إن كان المراد ذلك أن يقال: فرمينا، لا فارتمينا = لكان المعنى أنه لا رمي لأعدائهم، ولو كان الأمر كذلك لأفنى قومُه عدوَّهم، ولأبادوهم عن آخرهم، وهو ما يرده تعادل الفريقين، وانتهاء المعركة بلا منتصر ولا مهزوم الذي شهدت به نهاية القصيدة.

٤ ـ **(ندع) في قوله** :

فلما لم ندع قوسا وسهما ([٤٥]) ∴ .....

الذي يصف فيه تنقلهم في درج القتال ومراتبه حتى بلغوا أعلاها وأصعبها، وأولاها بدرك الثأر وأحقها، حيث فنيت السهام، وتعطلت القسي لانقطاع الأوتار([٤٦]) فتقدم كل فريق إلى خصمه للكفاح والجلاد طلبا للاستشفاء([٤٧]) ، وهو ما يشهد قطعا ويؤكد أن التواقف والإناخة والارتماء ـ في الموضع السابق ـ كان بين الفريقين ومن كلا الجندين لا من أحدهما على ما ذكرت، وأن الضمير في (نَدَعْ) في هذا الموضع قصد به الجمع بينهما والدلالة به على استوائهما، وإلا فلماذا يتقدم الفريق الذي ما زالت كنائنه ملأى بالسهام، وقسيُّه منصوبة تشق صدور الأعداء.

٥ ـ **(يرنا) في قوله** :

فمن يرنا يقل سيل عزيف ∴ .....

الذي يصف فيه مشي كل فريق إلى الآخر، وسرعة إقباله عليه، ويشبهه بالسيل الجارف المُجَلْجِلِ له صوتٌ ودَوِيٌّ ([٤٨])، ويُلحَظ ـ هنا ـ أن الجمع بين الفريقين في البيت قد جاء على صورتين، الأولى: في التعبير بضمير الجمع في (يرنا) بدليل تفسيره بقوله بعد: (نكر عليهم وهم علينا) .

الثانية: الجمع بينهما عن طريق تشبيههما معا بمشبه به واحد، هو (السيل العزيف) الذي يصور سرعة إقدامهم؛ ليتلاقى مع جوّ المعركة التي حمي وطيسها، وترقى الفريقان في درجها، وتنقلا في مراتبها، وليتناسب ـ أيضا ـ مع اصطفاء التعبير بـ (الكر) في (نكر عليهم وهم علينا) .

كما يلحظ الفرق بين المشبه به ـ هنا ـ والمشبه به في قوله:

فجاءوا عارضا بردا وجئنا ∴ كمثل السيف(٤٩) نركب وازعينا

وسر اختلافه في الموضعين.

والقول في ذلك أن كلا منهما ملائم لسياقه الخاص ومعناه الدقيق المراد به؛ إذ الأمر هنا في قوله:

فمن يرنا يقل سيل عزيف ∴ نكر عليهم وهم علينا

في الحديث عن جيشين التقيا فعلا، بل ترقيا في مراتب القتال، بل اشتد القتال، واحتد الطعان، وغدت مبارزة وكر وفر، وهو ما يلائمه ويناسبه السرعة والقوة التي في السيل، ومن ثم اختاره هنا.

أما الموضع الأول:

فجاءوا عارضا بردا وجئنا ∴ كمثل السيف نركب وازعينا

فسياقه الخاص ومعناه الدقيق المراد به وصف هيئة مجيء الجندين، وحالهما من الكثرة والفخامة والهيبة ولما تبدأ المعركة بعد، وهو ما يلائمه التشبيه بالسحاب في أن لهم حفيفا ووقعا شديدا متهافتا، هذا في جانب الأعداء.

أما قومه فقد شبه مجيئهم بالسيف يقطع ما يواجهه أو يعترض طريقه، ولا يستطيع أحد رده، وفي هذا الموضع أعجب من فعل المرزوقي والتبريزي كليهما؛ إذ رواياه (كمثل السيف) ثم فسراه عند الشرح بـ (السيل الذي لا يبقي ولا يذر(٥٠))

الطريقة الثانية للجمع: الجمع بين الفريقين عن طريق الإبهام في التعبير عنهما لاستوائهما في المعنى المراد، وجاء في موضع واحد، هو قوله :

..... ∴ مشينا نحوهم ومشوا إلينا

تلألؤ مزنة برقت لأخرى ∴ .....

حيث عبّر عن فريق بـ (مزنة) ، وعن الآخر بـ (أخرى) من غير أن يحدد أو يعرّف من المقصود منهما بالمزنة، ومن المقصود بالأخرى؛ لما رأى من

استوائهما في تلألؤ السلاح من الجانبين جميعا، ووميض كل واحدة من الطائفتين جميعا للأخرى([٥١]).

وكأنه يقول: تلألأنا ـ أي الجيشين ـ لوفور أسلحتنا، وبريق دروعنا وبيضنا، وإيماض أعيننا، تلألؤ سحابة برقت لأخرى قابلتها ([٥٢]) .

الطريقة الثالثة: الجمع بين الفريقين عن طريق تشبيههما بمشبه به واحد، وقد جاء ذلك في موضع واحد، هو قوله :

فمن يرنا يقل سيل عزيف ∴ .....

الذي شبه فيه مشي كل من الجيشين إلى خصمه بالسيل العزيف، وقد سبق الحديث عنه في الموضع الخامس من الطريقة الأولى للجمع بين الفريقين؛ هربا من تقطيع المعنى الواحد وتجزئة البيت .

تعقيب:

يلحظ أنه في كل مواضع الجمع بين الفريقين ـ بطرقه الثلاثة ـ **إما أن يجمع ثم يفرّق،** كما في:

ردينة لو علمت غداة جئنا ∴ على أضماتنا وقد احتوينا

حيث جمع بينهما ـ كما سبق ـ في (جئنا، وأضماتنا، واحتوينا)، ثم فرّق في:

فأرسلنا أبا عمرو ربيئا ∴ .....

ودسوا فارسا منهم عشاء ∴ .....

وفي قوله:

فلما أن تواقفنا قليلا ∴ أنخنا للكلاكل فارتمينا

فلما لم ندع قوسا وسهما ∴ .....

حيث جمعهما في (تواقفنا، وأنخنا، وارتمينا، وندع)، ثم فرّق في (مشينا ، ومشوا)وفي قوله:

تلألؤ مزنة برقت لأخرى ∴ .....

حيث جمع بينهما عن طريق الإبهام في التعبير عنهما لاستوائهما في المقصود، ثم فرّق بينهما في الشطر الثاني: إذا حجلوا بأسياف ردينا.

أو العكس، يفرق أولا ثم يجمع، كمال في قوله:

فجاءوا عارضا بردا وجئنا ∴ كمثل السيف .....

حيث فرق في البداية (جاءوا ، وجئنا)، ثم جمعهما في (نركب وازعينا).

٢ـ الخصيصة الثانية : المقابلة الأسلوبية.

وقد جاءت في القصيدة على أربع صور، الأولى: المقابلة القائمة على سنن التصادق في التعادلات والتوازنات باستخدام اللفظة نفسها، أو إحدى مشتقاتها، أو ما يؤدي معناها للفريقين ليقيم ثنائية متضادة للفريقين، وإن اختلفت النتيجة من الفعل عند كل فريق؛ إبلاغا في النصاف والتسوية بينهما، وقد جاء ذلك في ثمانية مواضع:

١ ـ قوله :

فأرسلنا أبا عمرو ربيئا ∴ فقال ألا انعموا بالقوم عينا

ودسوا فارسا منهم عشاء ∴ فلم نغدر بفارسهم لدينا

الذي يبين فيه أن كلا الفريقين أنفذ من قبَله مَنْ يرتبئ له قبل بدء المعركة؛ ليتحسس مواقع الآخر، ويراقب تحركاته، ويعرف أخباره، ويقف على عَدَده وعُدَده وعتاده([٥٣])، فاختارت جهينة ـ قبيلته ـ أحد فرسانها ـ أبا عمرو ـ واختارت بُهثة ـ أيضا ـ أحد فرسانها ـ فارسا منهم ـ ، وكلاهما عاد إلى قومه ولم يغدر به خصمه بعد العلم به([٥٤])، وهذه شيم العظماء، ونُبل أخلاق الفرسان، فضلا عما يشي به ذلك من تبجّح بالقوة لدى الفريقين، والاعتماد على النفس؛ إذ خلَّى كل فريق عين خصمه يرجع إليهم بواضح الأحوال والأخبار، ولم يفتك به، أو حتى يحتبسه عنده ليطويها عنهم.

وقد أنصف الشاعر خصمه، فقابل في الأسلوب بينهم وبين قومه، مستخدما صيغة (فعلنا) "فأرسلنا" لهم، و(فعلوا) "دسوا" لخصومهم؛ ليقيم ثنائية متضادة قائمة على التوازن والتعادل بين الفريقين في الفعل قبل الصيغة.

غير أنه يلحظ هنا أمران، **أولهما**: اختلاف المادة في الفعلين المستخدمين، وإن كان كلٌّ منهما يؤدي الغرض المراد ويحقق المعنى المُؤَمّ.

فاصطفاء الإرسال في جانب قومه فيه زيادة تبجح ناشئة مما يشي به من ظهور وعلانية تنبئ عن إفراط في الثقة، وزيادة الجرأة، والإدلال بالقوة، وعدم التَّهَيُّب من الخصم مهما كانت قوته.

أما في جانب الخصم فإن اصطفاء (دسوا) بما يحمله من خفاء أو تمويه يشي بالتهيب والخوف من قومه.

ثانيهما: أن نتيجة هذا الارتباء كانت من أفعال قومه ـ جهينة ـ ، ولم يكن لخصمه ـ بُهْثَة ـ فيها نصيب.

فأبو عمرو ـ رسول جهينة الذي ارتبأ لها ـ عاد مبشرا، وقال: قَرُّوا عينا، واستبشروا (فقال: ألا انعموا بالقوم عينا)، ليتمم ما في معنى الإرسال من التبجح بالجرأة ، والإدلال بالقوة، وعدم التهيب من الخصم؛ لما يترجم عنه من محبتهم ملاقاة الأعداء، وحرصهم على القتال، وتشوقهم للمجاذبة والنزاع، حتى عَدُّوا قربهم بشارة، ومنازلتهم غنيمة،على حد قول عمرو بن كلثوم:

بفتيان يرون القتل مجداً ∴ وشيب في الحروب مجرّبينا([٥٥])

ولذلك عَدّه المرزوقي أبلغ من قول الشاعر:

يستعذبون مناياهم كأنهم ∴ لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا([٥٦])

ومن قول الآخر :

..... ∴ لقاء أعاد أم لقاء حبائب؟! ([٥٧]).

أما فارس بهثة الذي ارتبأ لها فلم يجعل الشاعر له، ولا لقومه فعلا هنا ألبتة، إنما جعل النتيجة من فعل قومه هو ـ جُهينة ـ ؛ إذ رتَّب على دسّه إليهم قوله: (فلم نغدر بفارسهم لدينا) الذي يضيف إلى نُبْلهم وأخلاق الفرسان لديهم بعدا جديدا، إذ سَمَّى الفتك به أو احتباسه عندهم غدرا ـ على استحقاقه لذلك ، فضلا عن عدم اتخاذه أمانا منهم، أو اشتراطه ما يوجب سلامته عليهم ـ ومن ثم يكون ذلك كالغدر به وبهم([٥٨]).

ويجوز أن يكون عبر بالغدر عن ترك أقرب الأمرين إلى الكرم والوفاء مع هذا الجاسوس، ثم برَّأ ساحته وساحة قومه منه([٥٩]).

٢ ـ قوله:

فجاءوا عارضا بردا وجئنا ∴ كمثل السيف نركب وازعينا

الذي يتحدث فيه عن هيئة كل من الفريقين حال مجيئه، مستخدما الثنائية نفسها (وفعلوا، وفعلنا) للمادة نفسها(جاءوا، وجئنا) ليؤكد التناصف الذي يثبت حدا لا بأس به من التساوي، فهو مجيء بمجيء، وإن كان مجيء قومه أكثر قوة وهيبة ـ كما سيتبين إن شاء الله ـ تعالى ـ في الحديث عن الصورة في الجانبين .

وهذا تكرر عند شعراء النصاف في وصف مجيء أعدائهم، فجاء عند شاعرنا (عبدالشارق بن عبد العزى)وعند المفضل النكري في قوله:

فجاءوا عارضا بردا وجئنا ∴ كسيل العِرْض ضاق به الطريق([٦٠])

وخداش بن زهير في قوله:

فجاءوا عارضا بردا وجئنا ∴ كما أضرمتَ في الغاب الوقودا([٦١])

٣ ـ قوله:

فنادوا يا لبهثة إذ رأونا ∴ فقلنا أحسني ضربا جهينا

الذي يبين فيه استغاثة خصومه ببني بهثة مُعْتَزين إليهم، مستمدين العون منهم؛ تهويلا للأمر، وتكثيرا للعشيرة؛ ليستشعروا الرعب منهم، والتهيب لهم([٦٢]).

وفي المقابل يرد عليهم باستثارة قومه جهينة، وهَزّهم للضرب فيهم، والإيقاع بهم، ناصفا بينهم من خلال استخدام صيغة (فعلوا) "فنادوا"،و(فعلنا)"فقلنا"؛ لإقامة الثنائية المتضادة المبنية على التوازن والتعادل بين الفريقين في الصيغة، وما يؤدي معنى الفعل (فنادوا، وقلنا).

حيث اصطفى في جانب خصمه مادة (النداء) (فنادوا)، وأعقبها أسلوب الاستغاثة(يا لبهثة)، وقيّده بحال رؤيتهم المفاد من قوله:(إذ رأونا)، وكلها شاهدة على خوفهم وتهَيُّبهم.

أما في جانب قومه فقد اصطفى مادة القول (فقلنا) التي تؤكد ما سبق ذكره من تبجحه وقومه، وإدلاله بشجاعتهم، وعدم تهيبهم من عدوهم، أو خوفهم من

منازلته، ولهذا أعقبه بالأمر بإحسان الضرب فيهم والإيقاع بهم، لا الاحتراس منهم أوصَدّ هجومهم، أو الاستغاثة بأحد منهم.

٤ ـ قوله:

فلما لم ندع قوسا وسهما ∴ مشينا نحوهم ومشوا إلينا

الذي يتحدث فيه عن تنقلهما في درج القتال، وترقيهما في مراتبه حتى بلغا أعلاها بعد أن نفدت السهام، وتعطلت القسي.

وهنا في هذا الموضع تبلغ النصفة ذروتها، والمساواة بين الفريقين أعلى درجاتها؛ إذ يتطابق التعبير عنهما تطابقا تاما في الفعل: مادة (المشي) في الجانبين، وصيغة (فعلنا، وفعلوا)، بل إنه ليكاد يرجح جانب خصومه على جانب قومه بما ذكر من مشي قومه نحو أعدائه، أي في جهتهم وناحيتهم، أما مشي أعدائه فإنه إليهم، وهو أقوى من حيث دقته في تحديد المقصد.

كما يظهر هذا التطابق في تصوير هذا المشي بلمعان بريق مزنة لأخرى من خلال التسوية بينهما عن طريق الإبهام وعدم التحديد الناشئ من التعبير عن أحد الفريقين بـ (مزنة) وعن الآخر بـ (أخرى)، وهو ما ألمح إليه العلامة المرزوقي([٦٣]) بذكره أن في ذلك تلألؤ السلاح من الجانبين جميعا، ووميض كل واحدة من الطائفتين جميعا للأخرى ([٦٤]).

وتفسير ذلك (قوة النصاف) هنا في هذا الموضع ـ من وجهة نظري ـ أنه في مرحلة ما قبل اللقاء، وما تلاها من مراحل التهيؤ والاستعداد لا يدرك الفارس كنه غريمه، ولا يقف على حقيقة قوته، ومن ثم يتأتى له ويمكنه التبجح بقوته وشجاعة قومه، والإدلال بذلك، وهذا ما فعله عبدالشارق من أول القصيدة إلى البيت الثامن:

فلما أن تواقفنا قليلا ∴ أنخنا للكلاكا فارتمينا

إذ أظهر بعض تفوّق قومه، ومال بعض الميل إليهم ـ كما سبق أن بينت ـ إلا فيما جمع فيه بين الفريقين عند التهويل من الموقعة بعد المطلع، من ذكر مجيئهم ـ الفريقين ـ على غيظ وحقد وكراهية وحزازات وغضب في قوله:

ردينة لو علمت غداة جئنا ∴ على أضماتنا وقد احتوينا

وهذا أمر طبعي يوافق غرائز النفوس السوية المنصفة، ولا يناكد الإنصاف الذي ألزم به نفسه، ووصل إلى تمامه وذروة سنامه في آخر القصيدة .

أما في مرحلة بدء اللقاء، وبعد التناضل والارتماء، وما رآه من شجاعة خصمه وصبرهم، ندّيتهم، وحسن بلائهم، وقد ترقوا في مراتب القتال إلى أعلاها، فحمي الوطيس، وتلاقوا بالسيوف، فالأمر مختلف؛ ولهذا أنصفهم تمام الإنصاف، فقسم الأفعال بين قومه وبينهم، وخفّت، بل خفتت، أو قل غابت نبرة التميّز التي كانت تظهر له ولقومه قبل هذه المرحلة.

٥ ـ قوله:

تلألؤ مزنة برقت لأخرى ∴ إذا حجلوا بأسياف رَدَيْنا

الذي يبين فيه نوعية مشي كل فريق إلى الآخر، وقد تلألأ الفريقان ولمعا؛ لوفور أسلحتهما، وبريق دروعهما تلألؤ سحابة برقت لأخرى قابلتها(٦٥)، بعد أن أجمله في قوله: (مشينا نحوهم ومشوا إلينا) على سنن التكافؤ التعادل في الصيغة، ففي جانب الخصم (فعلوا) "حجلوا(٦٦)"، وفي جانب قومه (فعلنا) "رَدَيْنا(٦٧)".

أي : إذا كان مشيهم إلينا حجلا يتقارب فيه خطوهم، كمشي المقيد ووثبته، كان مشينا إليهم رديانا، كمشي الحمار بين آريّه ومُتَمَعَّكه، وهو أسرع، كما ذكر المرزوقي(٦٨).

على أني أرى في الحجلان خاصة ـ وقد قيده بكونه (بأسياف) ـ ما يضفي عليه قوة في الإقبال، وفرحة وبهجة باللقاء، وكأنهم في إقبالهم يتراقصون بأسيافهم ابتهاجا بلقاء عدوهم، فيقفزون ويثبون أو يحجلون كما ذّكّر.

وهذا ما تدل عليه ـ في جانب قومه ـ كلمة (رَدَيْنا) على ما فسره أبو زيد من أنه من رَدَيَان الجواري إذا لَعِبْن، ترفع إحداهن رجلا وتخطو بالأخرى خطوتين، ثم تضعها وترفع الأخرى، تفعل ذلك مرارا (٦٩).

وبذلك يشبه ما في الحجلان بالأسياف من التراقص والبهجة بلقاء الأعداء؛ ليكتمل النصاف ويستوي على سوقه .

وهذا ما شهد به قول المرزوقي ـ بعد ذلك ـ نقلا عن أبي زيد مسوّيا بين الحَجَلَان والرَّدَيَان: " والغراب يردي ويحجل"([٧٠])، وفسر ابن منظور الرديان بالحجلان في قوله:" ورَدَى الغُرابُ يَرْدِي: حَجَلَ([٧١])".

وهو ـ أيضا ـ ما يؤيده من النص قوله بعد ذلك مباشرة :

فمن يرنا يقل سيل عزيف ∴ .....

الذي جمع فيه الفريقين في ضمير واحد(نا) في (يرنا)، وشبههما معا بمشبه به واحد (سيل عزيف).

٦ ـ قوله :

فمن يرنا يقل سيل عزيف ∴ نكر عليهم وهم علينا

الذي يقابل فيه أسلوبيا بين كر كل فريق على الآخر عن طريق التعبير بفعل واحد(نَكرُّ) وإسناده إليهم مرة ، وإلى خصومهم أخرى، ومتعلّق واحد مع اختلاف الضمير الذي يعود مرة عليهم، وأخرى على خصومهم (نكر عليهم)، و(وهم علينا) .

ما يشهد بالتسوية التامة بينهم في تعادل وتوازن عن طريق هذه المقابلة، بل التطابق التام في أفعال الفريقين في هذه المرحلة ـ كما ذكرت ..

٧ ـ قوله:

شددنا شدة فقتلت منهم ∴ ثـــــلاثة فتية، وقتلت قينا

وشدوا شدة أخرى فجروا ∴ بأرجل مثلهم، ورموا جوينا

الذي يبين فيه على سنن التعادل والتناصف ـ من خلال الثنائية (فعلنا) في "شددنا"، أو (فعلت) في "فقتلت منهم، وقتلت قينا" من جانبه وقومه، و(فعلوا) في " شدوا"، و" فجروا"، و"ورموا" من جانب خصمه ـ أنه وقومه (جهينة) حملوا على خصومهم حملة منكرة، فأصابوا منهم ثلاثة من الفتيان و(قينا) الذي كان مشهورا فيهم بالبأس والنجدة، فقابلهم خصومهم (بنو بهثة) بحملة منكرة مثلها، فأصابوا منهم مثل ما أصابوا، ورموا أخاه (جوينا) الذي وصفه بحسن محافظته على الشرف، وجميل مدافعته دون العشيرة، وأن قتلته تزين ولا تشين، في قوله:

وكان أخي جوين ذو حفاظ ∴ وكان القتل للفتيان زينا([٧٢])

حتى إن المرزوقي ذكر في هذا الموضع أن هذه الأبيات تسمى المنصفة؛ لما تقابل فيها من صفات الجيشين على وجه التعادل وسنن التصادق([٧٣]).

ومن ثم دفع اعتراض ما عسى أن يتوهم من وصف شدة خصومه وحملتهم على قومه بـ (أخرى) من إضعافها أو التقليل من شأنها، وهو ما يناكد ما ذكره من النصفة والتعادل، فقال: "إن قيل: ما فائدة قوله: "شدة أخرى" ولم يكن قد تقدم لهم أولى؟

قلت: يجوز أن يكون أراد توالى بيننا حملتان: الأولى منا، والأخرى منهم؛ لأن قصده اقتصاص الحال الدائرة بينهم.

ويجوز أن يكون أراد أن يبين أنهم كانوا السابقين والمبتدئين، فوصف شدتهم بالأخرى؛ ليعلم أن المتقدم في الذكر كانت له الأولى([٧٤]).

وهذا لا يناكد النصاف ـ هنا ـ أو يتنافى معه؛ لأنه ذكر في النص ما يكاد يرجح كفة خصمه، وذلك **أولا**: في قوله ـ في قتل خصومه بني بهثة من قومه جهينة ثلاثة فتية ردا على قتلهم منهم ثلاثة ـ :

وشدوا شدة أخرى فجروا ∴ بأرجل مثلهم .....

الذي هو أنكى وأشد من مجرد القتل الذي جاء في حديثه عن قتله وقومه ثلاثة من بني بهثة في قوله:

شددنا شدة فقتلت منهم ∴ ثلاثة فتية .....

لما في هذا التعبير الكنائي من إثبات القتل بدليله، فضلا عما يُشْعر به (الجر بالأرجل) من الإهانة، والعجز التام من قومه عن تخليص جثث قتلاهم من أيدي خصومهم، وهو ما لا يفيده التعبير بـ " فقتلت منهم ثلاثة فتية..." ، بل إن ما فيه من العدول عن ضمير قومه في (فقتلت) بدل (فقتلنا) ما يؤيد هذا الضعف في جانب قومه الذين لم يذكرهم فيما بعد ذلك إلا في عودتهم وقد انحنت سيوفهم، وعجزوا عن السرى من ألوان البلايا، ولحوق الجهد، ومشارفة الردى (وأبنا بالسيوف قد انحنينا)، و(ولو خفت لنا الكلمى سرينا).

ثانيا: في التعبير الكنائي ـ أيضا ـ في حديثه عن قتل خصومه أخاه (جوينا) في قوله: (ورموا جوينا) مقابل قوله في قتل قومه (قينا): (وقتلت قينا) الذي يؤكد القتل عن طريق ذكر دليله (لرمي)، ومن ثم أبَّنَه ورثاه بالبيت الذي تلاه:

وكان أخي جوين ذا حفاظ ∴ .....

أما ما ذكره المرزوقي([٧٥]) من أنه جعل أعلى الصفتين لنفسه وذويه بوصفه أخاه بحسن الحفاظ بعد الحديث عن مقتله في قوله: (ورموا جوينا)، فإني أرى أن العكس هو الصحيح؛ لأن قتلهم ذلك الفتى القوي الثبت ذا الحفاظ على الشرف، المدافع عن القبيلة، الذاب عن العشيرة لدليل ساطع على قوتهم وشجاعتهم وبطولتهم، ومزية من مزاياهم ، وكثيرا ما كانوا يفتخرون بقتل الملوك والزعماء، ومنازلة الأبطال والشجعان والأقوياء، كما في قول عمرو بن كلثوم:

وَسَيِّدِ مَعْشرٍ قَدْ تَوّجُوهُ ∴ بتاجِ المُلكِ يَحمي المُحجَرِينَا
تَرَكنا الخَيلَ عاكِفَةً عَليْهِ ∴ مُقَلَّدَةً أَعِنّتَها صُفُونَا([٧٦])

ومن ثم فذكر ذلك هنا إن لم يكن يجعل أقوى الصفتين لبهثة خصومه، فلن تكون لقومه جهينة.

٨ ـ قوله في خاتمة القصيدة:

فآبوا بالرماح مكسَّرات ∴ وأبنا بالسيوف قد انحنينا
فباتوا بالصعيد لهم أحاح ∴ ولو خفت لنا الكلمى سرينا

الذي بين فيه نتيجة هذه الموقعة حيث لا غالب ولا مغلوب، إنما أصابت ويلاتها كلا منهما، فقتل من كليهما من قتل، وجرح من جرح، فبقيت الطائفة المجروحة من كليهما تئن على الأرض، ما اضطرهما ـ الفريقين ـ إلى الإقامة والتلوّم ريثما تثوب إليهما القوى بعد لحوق الجهد ومشارفة الردى([٧٧])، مستخدما الثنائية نفسها(فعلوا) لخصمه "فآبوا"، و"وباتوا"، و(فعلنا) لقومه "أبنا"، و"سرينا" ليجري بذلك على سنن التناصف في الصيغة والفعل .

غير أنه في البيت الأول جعل أعلى الصفتين لنفسه وذويه، حيث ذكر أنهم (خصمه) انصرفوا وقد تكسرت رماحهم بالإجرار، ورجعنا وقد تثنت سيوفنا بإعمالنا إياها في البيض والدروع منهم وقت الجلاد ([٧٨])، ويشهد لهذا قول زهير:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطَّعَنوا ∴ ضارَبَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا(٧٩)

حيث جعل الطعن فوق النضل، والضراب فوق الطعان، والعناق فوق الكفاح(٨٠).

كما أنه في البيت الأخير عبَّر عما لحق خصومه من الجهد ومشارفة الردى بالمعنى الكنائي (فباتوا بالصعيد لهم أحاح(٨١)) الذي يؤكد ما نالهم من ويلات هذه الحرب من خلال إثبات دليل ذلك من أنَّاتهم (الأحاح) .

وإن كان ـ أيضا ـ أكد ما أصاب قومه من ويلاتها من خلال التعبير بحرف الامتناع لامتناع (لو) الذي يؤكد امتناع سراهم لامتناع خفة أنواع البلايا التي أصابتهم في هذه الموقعة.

الصورة الثانية من صور المقابلة الأسلوبية: المقابلة في ذكر الفرسان والقتلى من الجانبين.

ففي الفرسان ذكر من فرسان قومه (أبا عمرو) الذي أرسلوه ربيئا، فعاد مبشرا بما يترجم عن محبتهم ملاقاة الأعداء وتشوقهم لمنازلة الأبطال في قوله:

فأرسلنا أبا عمرو ربيئا ∴ فقال ألا انعموا بالقوم عينا

وفي مقابل ذلك ذكر من فرسان خصمه فارسهم الذي دسوه عشاء ليعرف سر جهينة، ويقف على عددهم وعدتهم، في قوله: (ودسوا فارسا منهم عشاء .....)

وفي القتلى ذكر من قتلى خصمه ثلاثة فتية، والفارس (قينا) المشهور فيهم بالبأس والنجدة، وذلك في قوله:

شددنا شدة فقتلت منهم ∴ ثلاثة فتية وقتلت قينا

وذكر من قتلى قومه ثلاثة فتية مثلهم، وذا الحفاظ (جوينا) في قوله :

وشدوا شدة أخرى فجروا ∴ بأرجل مثلهم ورموا جوينا

في نصفة تامة وتعادل وتطابق بين الفريقين .

الصورة الثالثة: المقابلة من حيث الإظهار والإضمار.

وقد جاءت على طريقتين، **الأولى**: مقابلة ظاهر بظاهر، وجاءت في ثلاثة مواضع:

١ ـ في حديثه عن إرسال كل فريق من يرتبئ له قبل بدء المعركة، حيث عبَّر بالاسم الظاهر عن الذي أرسلته جهينة ـ قبيلته ـ (أبي عمرو) في قوله:

فأرسلنا أبا عمرو ربيئا ∴ .....

وقابله في جانب خصمه ـ بهثة ـ بظاهر أيضا(فارسا منهم) على النصاف بينهما، وإن لم يعرفه فله عذره في ذلك؛ لكونه يجهله، غير أنه أعطاه حقه فاختار التعبير عنه باللفظ (فارسا) الذي ينبئ عن شجاعته وقوته وبطولته وفروسيته، ما يجعل في تنكيره تعظيما له، ورفعة لشأنه تعادل ـ إن لم تكن تزيد ـ تعريف (أبا عمرو)، وإلا لاصطفى له (واحدا) مثلا، أو ما شابهه مما هو على وزن(فارسا).

٢ ـ في حديثه عن القتلى من الجانبين بعد انتهاء المعركة، حيث عبر عن قتلى خصمه بـ : (ثلاثة فتية)، و(قينا)، الذي كان مشهورا فيهم بالبأس والنجدة، ولذلك عيّن عليه وقتله، في قوله:

شددنا شدة فقتلت منهم ∴ ثلاثة فتية وقتلت قينا

وعن قتلى قومه بـ (مثلهم)، و(جوينا) على التناصف والتعادل التام في العدد والعُدَد، وطريقة التعبير.

٣ ـ مقابلة اسم القبيلة باسم القبيلة على التعادل والنصاف في قوله:

فنادوا يالبهثة إذ رأونا ∴ فقلنا أحسني ضربا جهينا

الذي ينبئ عن اعتزاز كلّ بقبيلته، واستناده إليها، واستثارتها وهزها للإيقاع بعدوها؛ تهويلا للأمر، وتكثيرا للعشيرة، ليستشعر كل فريق الرعب من صاحبه، والتهيب له([٨٢]).

الطريقة الثانية: مقابلة الضمير بالظاهر، وجاء ذلك في موضع واحد، هو قوله:

فأرسلنا أبا عمرو ربيئا ∴ فقال ألا انعموا بالقوم عينا

حيث عبر بـ (القوم) ـ في جانب خصمه ـ في مقابلة الضمائر (نا) الفاعلين في (فأرسلنا)، و(واو) الجماعة في (ألا انعموا) في البيت.

والتعبير بالاسم الظاهر(القوم) عن أعدائه في أول المنصفة هي التي وطَّأت لإنصافهم، فالتعبير بالاسم الظاهر هنا مقصود بكل ما فيه من مادة الكلمة وما فيها من مقومات القومية التي تدل على ثبات الصفات فيهم وبناء شخصيتهم عليها، ثم تعريفها بلام العهد الذي ينبئ عن شهرتهم بذلك، وثباتهم عليه، وهو ما عرفهم الجميع به، وعهدهم عليه، وهذا ما مَهَّد لإنصافهم بصفات تتلاقى وصفاتهم؛ لأنهم القوم، وتأمل الفارق لو كان التعبير (ألا انعموا عينا)، أو (ألا انعموا بهم عينا) مثلا.

قال أبو هلال في الفروق اللغوية:"والقوم هم الرجال الذين يقوم بعضهم مع بعض في الأمور ولا يقع على النساء إلا على وجه التَّبَع، كما قال ـ عزوجل ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشعراء (١٠٥)، والمراد الرجال والنساء تبع لهم([٨٣])".

وقال ابن فارس:" القاف والواو والميم أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدهما على جماعةِ ناسٍ...، والآخَر على انتصابٍ أو عَزْم([٨٤])".

وهذا ما يشهد له ويؤيده اصطفاء ضمائر الجمع في التعبير عنهم (دسوا، جاءوا، نادوا، رأونا، مشوا، حجلوا، شدوا، جروا، رموا، آبوا، باتوا) الذي يشي بدلالات كثيرة، أهمها: أن تلك الصفات في جميعهم، لا يتخلف عنها، أو يعرى منها أحد منهم، فقد اشتركوا فيها صغيرا وكبيرا، وهو ـ أيضا ـ متفرع عن اصطفاء التعبير عنهم بـ (القوم) في هذا البيت.

الصورة الرابعة: المقابلة في العدول، وقد جاء ذلك في موضع واحد، هو قوله:

شددنا شدة فقتلت منهم ∴ ثلاثة فتية وقتلت قينا

وشدوا شدة أخرى فجروا ∴ بأرجل مثلهم ورموا جوينا

حيث عدل ـ في حديثه عن قومه ـ عن ضمير الجمع (نا) في (شددنا) إلى ضمير المفرد المتكلم (التاء) في (فقتلت).

وعكس ذلك ـ في الحديث عن خصمه ـ إذ عَدَلَ عن المفرد ـ إذ لا يمكن أن يشترك جميع القوم في رمي أخيه جوين ـ في قوله (ورموا جوينا).

ودافع العدول هنا ـ فيما أرى ـ يتعلق بالشاعر نفسه، وبمعناه الذي يؤمُّه ويقصده؛ إذ ليس ثمَة وسيلة للتعبير عما يختلج في صدره، ويتحرك في نفسه إلا من خلال هذا العدول بالنسق عن ظاهره؛ ليتمكن ما يريد البوح به في ذهن السامع أفضل تمكن؛ لأن السامع متى وجد النظم قد عُدل به عن مقتضى الظاهر بقي منتظرا لعُقْبَى الكلام كيف تكون، ومن ثَمَّ يتمكن المسموع في ذهنه بعد هذا الترقُّب فضل تمكن، وليس العدول لمجرد التنويع في الأسلوب أو الترويح عن نفس المخاطب أو تطرية نشاط السامع فحسب(٨٥)، إنما هو انزياح عن الأصل أعطى قيمة فنية مضاعفة مستَمَدَّة من الإقدام الفردي الخاص في توظيف أبنية لغوية مباغتة، قائمة على تَخَطّي الأنماط المألوفة، ومخالفة الأصول المعروفة إلى ما لا يُتَوَقَّع؛ لتحقيق غاية معنوية لا تكون في سلوك الطريق اللَّاحب، أو اتباع الترتيب الوارد، أو الأصل المتفق عليه.

هذه الغاية ـ هنا فيما أحسب ـ هي المبالغة في تعظيم أمره، وبيان شجاعته وأثره في الفعل(فعل القبيلة كل القبيلة من قتل أو انتصار أو ما يؤدي إليهما...) اكتفاء بفعله (قتلت منهم) عن فعلها (قتلنا منهم) لفهم المعنى(٨٦)؛ إذ يستحيل أن تبدأ حرب بين جيشين، تنتهي وجميع القتلى من أحد الخصمين يقتلهم محارب واحد.

والذي سَوَّغَ ذلك أنه (وقوع القتل منه، أو من غيره من قومه، أو من قومه جميعا) في استواء الغاية واحد، خاصة بعد أن أشركهم ـ على الجملة ـ في الحملة على الأعداء في قوله: (شددنا شدة)، وكأنه يرى في نفسه أنه قَيّم أهله وقومه وأميرهم، وأن في انتصاره انتصارهم، وفي قتله أعداءه قتل أعدائهم، وكأن حكمهما ـ لتساندهما واتفاقهما على غرض واحد، واتحادهما في تحقيقه ـ حكم الشيء الواحد، ومن ثم أُقيم القتل منه مقام القتل منهم؛ تفخيما لشأنه، وتعظيما لأمره.

أما عدوله في جانب الخصم عن المفرد إلى الجمع في(ورموا جوينا)، فأرى أن ذلك له صلة وثيقة بما تقدَّمه مما بنى عليه إنصافهم من التعبير عنهم ـ في صدر القصيدة ـ بلفظ (القوم) الذي ينبئ عن اجتماع أمرهم، وقوة اتحادهم، وثبا تلك الصفات فيهم، فهم جميع في كل أفعالهم، لدرجة أن ما يفعله أحدهم يُنْسَب إليهم جميعهم، ولذلك ذكر أبو حيان التوحيدي أن العرب تنسب الفعل الصادر من الواحد إلى الجماعة في كلامها(٨٧).

كما يُقال : نَسي القوم زادهم إذا نسيه متعهد أمرهم(٨٨)وعليه قوله تعالى:﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ الكهف ٦١، والذي نسيه واحد هو فتى موسى ـ عليه السلام ـ ؛ لأنه وكل أمر الحوت إليه(٨٩)، وأمره أن يخبره إذا فقده، فلما انتهيا إلى ساحل البحر وانسرب الحوت فيه أشفق الفتى أن يوقظه، ثم نسي أن يخبره حتى ارتحلا وجاوزا، فَنُسب النسيان إليهما للصحبة (٩٠).

وسوَّغ ذلك ـ هنا ـ أمور، **أولهما**: أن الرمي ـ وإن كان الرامي واحد ـ قد جاء من جهتهم، وأنه في النهاية يُحْسب لهم جميعهم، ولذلك أقيم رميهم مقام رمْي الرامي ؛ لما يشي به من اجتماع أمرهم، وتوحد كلمتهم ـ بل حتى فعلهم ـ وتوافقهم فيما بينهم، صغيرا وكبيرا، حتى أن أيَّ فعل لأيٍّ واحد منهم يُسنَد إليهم جميعهم، ويُنْسَبُ إلى جملتهم، وهذا كلُّه عما سبق من التعبير عنهم بلفظ (القوم) في مقدمة نصفتهم، فهو امتداح للقوم، وزيادة في النصفة لهم .

الثاني: أنه لتفخيم شأن المفعول به (جوين) ، وإظهار شجاعته وبطولته، وكأنه يلوِّحُ إلى أنه ـ لفرط شجاعته وقوته ـ لا يستطيع واحد منهم ـ مهما بلغت قوته وشجاعته، وغلبت فروسيته، وزادت جرأته ـ أن يقتله أو ينتصر عليه، وأنه لولا تجمُّعهم عليه، وتمالؤهم وتساندهم جميعا واتفاقهم على الفتك به ما تمكنوا من النيل منه وقتله، ويؤيده اصطفاء التعبير عن قتله بـ (رموا) الذي يدل ـ فوق دلالتهم على تكاثرهم عليه، واشتراكهم في ذلك ـ على أن أمر قتله كان رميا عن بُعد ، ولم يكن نتيجة منازلة أو مبارزة أو مواجهة، وهو ما يشي بالهيبة والخوف منه، وعدم القدرة على مواجهته أو منازلتهن الذي يشهد وينطق بقوته وشجاعته، ومن ثم عيَّنوا عليه عن بعدن وتساندوا، وتعاونوا على ذلك رغبة في الخلاص منه حتى لا يصلوا إلى منازلته، فيقضي على أكثرهم، أو يكون سببا في هزيمتهم، وهذه القيمة الفنية المضاعفة التي باحت لنا بمكنونات ضميره وما

يتحرك في نفسه، مستمدة من ذلك العدول عن النسق الظاهر، وتخطِّي النمط المعتاد، والإقدام الفردي الخاص في توظيف أبنية لغوية مباغتة، تُخْرِجُ للمتلقي ما قد لا يجد المبدع وسيلة لإخراجه، وهذا العدول ـ في نظري ـ هو ما وطَّأ لتأبينه ورثائه في البيت بعده بقوله:

وكان أخي جوين ذا حفاظ ∴ وكان القتل للفتيان زينا

الثالث: أنه يتلاقى مع ما عطف عليه من أفعال كلها أسندت إلى ضمير الجمع (وشدوا)، و (فجروا) ، فكان في إسناد(رموا) إلى واو الجماعة تلاؤم لفظي يناسب ما سبقه، ويتلاقى معه...

الخصيصة الثالثة: التعبير عن المعاني بين التصوير والتجريد.

والمتأمل في القصيدة يدرك أن الشاعر لم يصور بالتجوز ـ ألبتة ـ ، وأن تعبيره عن المعاني التي أمَّها جاءت إما :

١ ـ **حقائق مجردة** (أ) جمع فيها بين الفريقين، كما في: (جئنا)، و(أضماتنا)، و(احتوينا)، و(تواقفنا)، و(ارتمينا) ....

(ب) وزَّعَها وقسمها بينهما بالتساوي، كما في: (فأرسلنا) وفي مقابله (دسُّوا)، و(ونادوا) وفي مقابله (فقلنا)، و(شددنا شدة) وفي مقابله (وشدوا شدة أخرى)، و(مشينا نحوهم) وفي مقابله (مشوا إلينا) ، و (فآبوا) وفي مقابله (فأبنا)، و(فباتوا) وفي مقابله (ولو خفت لنا الكلمى سرينا).

٢ ـ **تشبيهات** (أ) جمع فيها بين الفريقين، وجاء ذلك في موضعين، **الأول**: صوّر فيه مشي كلّ من الفريقين إلى الآخر، وإسراعه إليه ـ لا يُبْقي على شيء، ولا يقف أمامه شيء، بل يجرِف ما يعترضه ـ بالسيل لا يبقي ولا يذر، في قوله:

..... ∴ مشينا نحوهم ومشوا إلينا

فمن يرنا يقل سيل عزيف ∴ نكر عليهم وهم علينا

الذي شَبَّه فيه إقدام كل فريق إلى الآخر، ومشيُه إليه بالسيل العزيف ـ المجلجل في دوِيٍّ وجلبة ـ في سرعته وقوة تدميره، أو (الأتيّ) (على رواية الأزدي في مآخذه على شراح ديوان المتنبي) أي: النافذ القوي الغريب الذي

يأتي من بلد غير بلدك ([٩١])، ما يسبب المباغتة التي لا تدع فرصة للنجاة منه، وهذا ما يؤكد تفسيره في الشطر الثاني بالكر في (نكر عليهم وهم علينا) .

الثاني: صوَّر فيه كرَّ كل فريق على الآخر بجملة فرسانه ـ المدججين بأسلحتهم على كثرة عددهم، واكتمال عتادهم ـ في الهيبة والفخامة، والفرح بلقاء الخصم ـ بتلألؤ مزنة لأخرى في قوله:

..... ∴ نكر عليهم وهم علينا

تلألؤ مزنة برقت لأخرى ∴ إذا حجلوا بأسياف ردينا

(ب) تشبيهات وزَّعها بين الفريقين وقسمها بينهم بالتساوي بينهما، فجاء بتشبيه لخصمه، وبمثله لقومه، وجاء ذلك موضع واحد، هو قوله:

فجاءوا عارضا بردا وجئنا ∴ كمثل السيف نركب وازعينا

الذي يصف فيه هيئة مجيء الجندين(خصمه وقومه) على النصاف، بل إنه ـ هنا ـ بيَّن سرعة مجيء خصمه أكثر من مجيء قومه؛ حيث قدم ذكر مجيئهم، وعطفه بالفاء على ما قبله من إرسال كلّ من يرتبئ له([٩٢])، فضلا عن دلالة لفظ (عارضا) علي البكور، قال ابن فارس:" لقِيه عارِضاً، أَي: باكِراً([٩٣])".

فقد شبَّه فيه هيئة مجيء بني بهثة (خصمه) في كثرتهم وتعجلهم بقطعة السحاب في أن لهم حفيفا ووقعا شديدا متهافتا، مثل الذي يكون لذلك السحاب([٩٤]) فالعارِض: الجيش العظيم الذي يَعْتَرِضُ في أُفُقِ السماء فيسدّ الأُفُق، يقال: مَرَّ بنا عارِضٌ قد مَلأَ الأُفق، وكل مانِعٍ مَنَعَك فهو عارِضٌ، وكل صعب فيه عَجْرَفِيَّةٌ ونَخْوَةٌ وصُعُوبةٌ يَرْكَبَ رأْسه من النَّخْوة ، وفي التنزيل في قصة قوم عادٍ "فلما رأَوْه عارِضاً مستقبل أَوديتهم قالوا هذا عارض مُمْطِرنا" الأحقاف ٢٤([٩٥]).

وفي مقابلة ذلك شبَّه مجيء قومه(جهينة) بالسيف في المُضاء والعزم، غير أن اصطفاء السحاب مشبها به لخصمه ووصفه بـ (بردا) في (فجاءوا عارضا بردا)، واصطفاء السيف مشبها به لقومه في (وجئنا كمثل السيف) يشي بتبجّحه بقوته، وإدلاله بشجاعته؛ لأننا ما زلنا بعد في مرحلة متقدمة، مرحلة التهيؤ والاستعداد

للحرب، ولم يدرك بعد كل فريق كُنْه خصمه، ولا شجاعته وثباته وصبره؛ ولهذا ساغ له وصف مجيئهم بـ (بردا)، وكأنه يقول: فعلى الرغم من كثرتهم وجلبتهم، وشدة وقعهم وسَدِّهم الأفق فإننا نشعر بالأمان منهم، ولا نتهيَّب من كثرتهم، أو إقدامهم وسرعتهم.

أما مجيؤنا نحن ففيه قوة وهيبة ومُضاء وعزم، وإن تأخر عن مجيئهم؛ لأنه كالسيف القاطع الذي لا يردُّه شيء.

٣ ـ **كنايات،** وهي أيضا نوعان: (أ) كنايات جمع فيها بين الفريقين، وجاءت في ثلاثة مواضع، **الأول**: (نركب وازعينا) في قوله:

..... ∴ وجئنا كمثل السيف نركب وازعَيْنا

بناء على أن المراد بذلك اختلاف الطائفتين من الخيلين، كما ذكر المزوقي([٩٦])، كناية عن عدم انقياد الفريقين لمن يريد ضبطهما ، أو مطاوعتهما من يطلب كفَّهما من الجيشين جميعا([٩٧]).

الثاني: (أنخنا للكلاكل فارتمينا) كناية عن النزول بعد المطاردة، جمعت ـ أيضا ـ الفريقين في قوله:

فلما أن تواقفنا قليلا ∴ أنخنا للكلاكل فارتمينا

الثالث: (فلما لم ندع قوسا وسهما) كناية عن شدة الرمي الذي نفدت معه الرماح، وتعطلت القسي لتقطع الأوتار، جمعت بينهما أيضا، في قوله:

فلما لم ندع قوسا وسهما ∴ مشينا نحوهم ومشوا إلينا

(ب) كنايات وزَّعها بين الفريقين، وقسمها بينهما بالتساوي، وعلى وجه النصفة، فأتى بكناية لخصمه، وبمثلها لقومه، وجاء ذلك في موضع واحد، هو(حجلوا بأسياف) في جانب خصمه، و(ردينا) في مقابله لقومه، في قوله:

تلألؤ مزنة برقت لأخرى ∴ إذا حجلوا بأسياف ردينا

وهما كنايتان عن الفرح بلقاء العدو.

(ج) كنايات جاءت لقومه خاصة، ولم يَذْكر لها نظيرا يقابلها لخصمه، وجاء ذلك في موضع واحد، هو(ألا انعموا بالقوم عينا) في قوله:

فأرسلنا أبا عمرو ربيئا ∴ فقال ألا انعموا بالقوم عينا

كناية عن الشجاعة وحب اللقاء، والحرص على القتال، والشوق للمجاذبة والنزاع، حتى عَدُّوا قرب عدوهم بشارة، والالتقاء معهم غنيمة(٩٨).

وهذا ـ هنا ـ لا يقدح ـ من وجهة نظري ـ في نُصْفته؛ لما ذكرت مرارا من أنه لم يزل بعد في مراحل التهيؤ والاستعداد للحرب، ولما يتمكن بعد من استكناه خصمه، أو التعرف على ثباته وشجاعته.

فضلا عن أنه لا يعرف شيئا من خبرهم، ولا ما قاله من ارتبأ لهم عن قومه، ومن ثم كان من النصفة عنه .

كما أن بيان سرعة مجيء خصمه أكثر من مجيء قومه المفاد من تقديم مجيئهم في (فجاءوا عارضا بردا) على مجيء قومه (وجئنا) وعطفه بالفاء على الارتباء مما يُعَدُّ شاهدا على حبهم اللقاء وشجاعتهم يمكن أن يكون في مقابل هذه الكناية...

(د) كنايات جاءت في مقابلة حقائق، وذلك في موضع واحد هو قوله :

شددنا شدة فقتلت منهم ∴ ثلاثة فتية وقتلت قينا

وشدوا شدة أخرى فجروا ∴ بأرجل مثلهم ورموا جوينا

حيث عبر عن قتله(قينا) وثلاثة فتية من خصومه بالحقيقة، بينما عبر عن قتل خصومه(جوينا) وثلاثة من قومه بالكناية في(فجروا بأرجل مثلهم) كناية عن قتل مثلهم، و(ورموا جوينا) كناية عن قتلهم إياه.

وهذا يتفق مع ما ذكرت من أنه في مرحلة التهيؤ والاستعداد للحرب ـ ولما يكن بعد يدرك قوة خصمه وشجاعتهم ـ متبجِّحٌ بقوته وقومه، مُدِلٌّ بشجاعتهم، ومن ثمَّ كَنَّى عن ذلك بحبهم اللقاء، والبشرى به، في قول رفيقه: (ألا انعموا بالقوم عينا).

أما وقد بدأت الحرب، وذاق الفريقان ويلاتها، وأدرك كلٌّ قوة خصمه وبسالته، وصبره، وثباته وشجاعته، فما كان منه إلا أن نَصَفَ بين الفريقين في الأفعال والاقتتال، وما ترتب عليه من آثار، بل عَبَّرَ في جانب خصمه بما هو

أنكى وأشد؛ لأن في جَرِّ الأرجل من النكاية ـ وهو ما عبَّر به عن قتل خصومه ثلاثة من فتيان قومه ـ ما هو أقوى من مجرد القتل الذي عَبَّرَ به عن قتل قومه ثلاثة من أعدائهم...

الخصيصة الرابعة: المقابلة من حيث الإظهار والإضمار.

وقد جاءت على صورتين، **الأولى**: مقابلة ظاهر بظاهر، وجاء ذلك في ثلاثة مواضع:

(أ) في حديثه عن إرسال كل فريق من يرتبئ له قبل بدء المعركة، حيث عَبَّر بالاسم الظاهر عن الذي أرسله قومه (أبا عمرو) في قوله: (فأرسلنا أبا عمرو ربيئا).

وقابله في جانب خصمه (بهثة) بظاهر ـ أيضا ـ (فارسا) على النصاف بينهما، وإن لم يُعَرِّفْه بالعلمية كما فعل مع ربيئهم؛ لكونه لا يعرف اسمه، غير أنه أعطاه حقَّه الذي يعوِّض عن تعريفه؛ إذ اختار له لفظ (فارسا) الذي ينبئ عن شجاعته وقوته وبطولته وفروسيته، ما يجعل في تنكيره تعظيما له، ورفعة لشأنه، تعادل تعريف(أباعمرو) بالعلمية، إن لم تكن تزيد عنها، وإلا لاصطفى له ـ مثلا ـ (واحدا) أو ما يشابهها مما هو على وزن (فارسا) .

(ب) في حديثه عن القتلى من الجانبين بعد انتهاء المعركة، حيث عبَّر قتلى خصمه بقوله:(ثلاثة فتية)، و(قينا) الذي كان مشهورا فيهم بالبأس والنجدة، ولذلك عَيَّنَ عليه([٩٩])، في قوله :

شددنا شدة فقتلت منهم ∴ ثلاثة فتية وقتلت قينا

وعن قتلى قومه بقوله: (مثلهم) و(جوينا) ـ الذي وصفه بالبيت الذي تلاه بأنه بحسن محافظته على الشرف، وجميل مدافعته عن العشيرة، ثبت حتى قتل، فكان قتله محمودا ـ على التناصف والتعادل التام في العدد وطريقة التعبير.

(ت) مقابلة اسم القبيلة باسم القبيلة على التعادل والنصاف في قوله :

فنادوا يالبهثة إذ رأونا ∴ فقلنا أحسني ضربا جهينا

الذي ينبئ عن اعتزاز كلٍّ بقبيلته، واستناده إليها، واعتماده عليها، ومن ثم استثارتها وهَزِّها للإيقاع بعدوها، تهويلا للأمر، وتكثيرا للعشيرة؛ ليستشعر كل فريق الرعب من صاحبه، والتهيُّب له([١٠١]).

الثانية: مقابلة الظاهر بضمير، وجاء في موضع واحد هو قوله:

فأرسلنا أبا عمرو ربيئا ∴ فقال ألا انعموا بالقوم عينا

حيث عبر بـ (القوم) في جانب خصمه في مقابلة الضمائر(نا الفاعلين) في فأرسلنا، و(واو الجماعة) في (ألا انعموا).

والتعبير عن أعدائه بالاسم الظاهر(القوم) في أول المنصفة هو الذي وَطَّأ لإنصافهم، فهو هنا مقصود بكل ما فيه من مادة الكلمة وما فيها من مقومات القومية التي تدل على ثبات الصفات فيهم، وبناء شخصيتهم عليها، ثم تعريفها بلام العهد الذي ينبئ عن شهرتهم بذلك، وثباتهم عليه، وأنه ما عرفهم الجميع به، وعهدهم عليه، وهذا ما مَهَّدَ لإنصافهم بصفات تتلاقى وصفاتهم؛ لأنهم القوم، وتأمل الفرق لو كان التعبير (ألا انعموا عينا)، أو (ألا انعموا بهم عينا) مثلا.

وهذا ما يشهد له ويؤيده اصطفاء ضمائر الجمع (دسوا، جاءوا، نادوا، رأونا، مشوا، حجلوا، شدوا، جرُّوا، رموا، آبوا، باتوا) في التعبير عنهم، الذي يشي بعبارات كثيرة، أهمها أن تلك الصفات في جميعهم، وأنها لا يتخلَّف عنها، أو يَعْرَى منها أحد منهم، فقد اشتركوا فيها صغيرا وكبيرا، وهذا ـ أيضا ـ متفرع عن اصطفاء التعبير عنهم بـ (القوم) في أول المنصفة على ما ذكرت ....

الخصيصة الخامسة: تقديم الأفعال وتوزيع العاطف.

المتأمل في القصيدة يلحظ النصفة بين الفريقين ـ فضلا عما سبق ـ في تقديم الأفعال وتوزيع العاطف بين قوم الشاعر وخصومهم، وقسمتها ـ غالبا ـ بالعدل وعلى التناصف([١٠١]).

١ ـ ففي حديثه عن إرسال كل فريق من يرتبئ له وينبئه حال خصمه قدَّم فعل قومه (فأرسلنا أبا عمرو) معطوفا بالفاء على مجيء الفريقين مُغْضَبين ، قد أضمر

كل منهما الشر لخصمه، دالا بذلك على الرغبة في سرعة التهيؤ والاستعداد لخوض المعركة، ثم عَطَفَ عليه فعل خصمه (ودسوا فارسا منهم عشاء) بالواو؛ للدلالة على مشاركتهم قومه تلك الرغبة التي زاد قومه عن خصومهم فيها .

أما في حديثه عن مجيء الفريقين إلى ساحة المعركة فقد قدّم فعل خصمه (فجاءوا عارضا بردا) معطوفا بالفاء على أمر الارتباء، دالا بذلك على سرعة مجيئهم أكثر من قومه نصفة لهم، وثناء على إقدامهم، ومدحا بسرعة حضورهم ساحة المعركة، ثم عطف على مجيئهم بالواو مجيء قومه (وجئنا كمثل السيف....) على الإنصاف في التقديم وتوزيع العاطف بينهما.

ففي المعنى الأول قَدَّم فعل قومه وعطفه على ما قبله بالفاء (فأرسلنا) ثم عطف عليه فعل خصمه بالواو (ودسوا)، وفي المعنى الثاني الذي تلاه مباشرة ـ إنصافا لخصمه ـ قدَّم فعل خصمه (فجاءوا) على فعل قومه (وجئنا)، وعطفه على ما قبله بالفاء، ثم عطف عليه فعل قومه بالواو (وجئنا)، فعادل بين الفريقين في التقديم وتوزيع العاطف في توازن تام.

٢ ـ في حديثه عن استثارة كل فريق قومه واعتزازه بهم وهزِّهم للطعن تهويلا للأمر قدَّم فعل خصمه (فنادوا يالبهثة إذ رأونا) نُصْفة لهم، وثناء على حماستهم وجرأتهم، وحسن إقدامهم، ودلالة ـ أيضا ـ على سبقهم وامتلاكهم زمام المبادرة، كما سبقوا في مجيئهم، ثم عطف عليه بالفاء فعل خصمه (فقلنا أحسني ضربا جهينا) دلالة على سرعة تَرَتُّب فعلهم على ما سبقه من فعل خصومهم من دون إبطاء ولا تأخير، وهو ما يشي بالسبق والفضل لخصمه، وهو ـ فيما أرى ـ ما لا نصفة بعده؛ لما فيه من اعتراف بما للخصم من فضل، وإقرار له بالسبق، وهذا ما قابله بنوعية القول الذي نقله عن قومه؛ حيث ذكر أن خصمه نادوا قومهم اعتزازا واستغاثة، أما ما صدر من قومه فاستثارة، وهزٌّ لضرب أعناقهم، والإيقاع بهم (أحسني ضربا جهينا).

٣ ـ في حديثه عن مشي كل فريق إلى خصمه وهجومه عليه قدَّم فعل قومه مرتين، ثم عطف عليه فعل خصمه بالواو؛ دلالة على مطلق الجمع والمشاركة

بينهما مع نوع أسبقية، وشيء من أفضلية ـ أُخِذَت من التقديم ـ لقومه، **الأولى** في قوله:

فلما لم ندع قوسا وسهما ∴ مشينا نحوهم ومشوا إلينا

الثانية: في قوله:

فمن يرنا يقل سيل عزيف ∴ نكر عليهم وهم علينا

٤ ـ في الحديث عن حملة كل فريق على الآخر وما نتج عنها قَدَّمَ فعل قومه في (شددنا شدة)، و(فقتلت منهم...)، و(وقتلت قينا)، ثم عطف عليه فعل خصمه وما نتج عنه ـ في توازن تام وتعادل بين الفريقين ـ بالواو؛ دلالة على الجمع المطلق بينهما في الفعل، والمشاركة التامة، والتطابق الكامل؛ إذ جعل في مقابل قوله عن قومه:(شددنا شدة) قوله عن خصمه: (وشدوا شدة)، وفي مقابل (فقتلت منهم ثلاثة فتية) الذي عطفه على ما قبله بالفاء قال (فجروا بأرجل مثلهم)، فعطفه ـ أيضا ـ بها، وفي مقابل: (وقتلت قينا) الذي عطفه على ما قبله بالواو قال: (ورموا جوينا) فعطفه على ما قبله بها كذلك.

مع بعض الميل إلى قومه الناشئ من تقديم أفعالهم، ما يجعل فعل خصمه كأنه ردَّة فعل عنه.

٥ ـ في الحديث عما آل إليه أمر الفريقين، وما أصاب كلا منهما من آثار المعركة قَدَّمَ فعل خصمه (فآبوا بالرماح مكسرات)، و(فباتوا بالصعيد لهم أحاح) معطوفا على ما قبله من حملة كل فريق على الآخر(شددنا شدة... وشدوا شدة أخرى) بالفاء؛ دلالة على تَرَتُّبه على تلك الحملة، وتسبُّبِه عنها، ثم عطف عليه بالواو فعل قومه ((وأبنا بالسيوف قد انحنينا)، و(ولو خفَّت لنا الكلمى سرينا) ؛ دلالة على الجمع المطلق بينهما في هذين الأمرين، واشتراكهما فيما آل إليه حال الفريقين على التعادل والتوازن والنصاف، وإن بدا بعض الميل إلى قومه ذلك الميل الناشئ من (أ) تقديم فعل خصمه في الحديث عن آثار الحرب وتعديد ويلاتها، وهو ما ينبئ عن قوتها فيهم أكثر من غيرهم...

(ب) جعله أعلى الصفتين لنفسه وذويه؛ حيث عاد خصومه بتكسر الرماح، أما قومه فعادوا بانحناء السيوف، ولا يخفى ما فيهما ـ كما سبق ـ .

(ج) تصريحه بما يفيد المبالغة في لحوق الجهد، ومشارفة الردى (فباتوا بالصعيد لهم أحاح)، أما في جانب قومه فذكرها لكن مَكْنِيَّاً عنها (ولو خفت لنا الكلمى سرينا).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله العظيم...

وبعد ،،،

فقد حملت هذه الوريقات شيئا من الدراسة العربية لبيان من شعرها المعجب، يقينا أن معايشة نتاج المفلقين من شعراء هذا اللسان، وفقهه وتذوقه يهدي إلى نتائج، منها:

* أن نتاج الرجل قطعة من عقله، وأن كلامه يحدد في البيان ـ وغيره من جوانب الشخصية ـ مكانه، ومن خلال النظر في نونية (شاعرنا)عبدالشارق بن عبدالعزى الجهني يبدو جليا أنه ـ وإن فُقد كلُّ شعره غيرها ـ أنه شاعر متميّز يمتلك ناصية الكلم، صادق فيما يصدر عنه، بعيد كل البعد عن التزييف أو النفاق أو الممالأة، واقعيٌّ حتى في فخره الذي كان أقرب ما يكون إلى الواقع العربي النضالي الأصيل، الذي قَلَّ ما يوجد مثله في هذا الزمان.

كما أنه فارسٌ بما تحمله الكلمة من صفات الشجعان وأخلاق الفرسان، عاقلٌ محنَّك يدري عواقب الأمور، ينظرها من جميع زواياها ـ التي هو فيها، والتي فيها عدوه، منصفٌ في حكمه، لا يجاوز الحق، ولا يخرج عن الحقيقة.... .

- بين البحث كيف تلاءم مفتتح القصيدة مع غايتها، وكيف عاد مقطعها على مبدئها، فانتظمت في سلك واحد، يجمعه مستهلُّها، وتؤكده خاتمتها.

- بين البحث كيف بنيت القصيدة على معنى واحد، تناسلت منه معانيها، وتفرعت عنه أفكارها وأبياتها، فجاءت وحدة متكاملة مترابطة، تمتد وتنمو ولا

تبعد عن الأصل الذي يربط أجزاءها ويُقَوّم بناءها؛ إذ هي كلها في التحذير من الحرب وإنصاف الخصم.

- بين البحث دقة عبدالشارق في اختيار ألفاظه القريبة من حاله وبنائه فتناغمت وتناسقت على نهج يسير في نسق الغاية التي بها بدأت القصيدة، ولها جاءت.

- حاول البحث المقارنة بين ما جاء عليه نظم القصيدة ـ ودوره في إبراز الغرض المراد من الكلام، والكشف عن مقتضيات الأحوال ـ وبين ما يشابهه من نظوم مُحْتَمَلَة؛ لبيان مدى بلاغته ودقته في الاصطفاء والاختيار، غير أنه(البحث) لم يُعْنَ بالتحليل الجزئي للحروف والكلمات إلا بمقدار ما يعين على إبراز خصوصيات النظم الكلية التي توضح خصائص الإنصاف الأسلوبية التي قام عليها البحث.

- أثبت الدراسة دقة نظم القصيدة، وترابط أجزائها، وتنوع بنائها وأساليبها، وتآزرها في الإبانة عن مرادها، فضلا عن كشفها مكنونات نفس قائلها، ونطقها بخلاله، فليس ثمّة انفصال ولا قطيعة بين شخصية المبدع وبين نتاجه وإبداعه.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانك، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه،عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضاء نفسه، ومداد كلماته، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع:

- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين للخالديين أبي بكر محمد، وأبي عثمان سعيد، تح/ السيد محمد يوسف، موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com) .
- الأصمعيات لأبي سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعي، تح /أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون ط الخامسة دار المعارف من دون.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني تح/ سمير جابر، الطبعة الثانية، دار الفكر - بيروت (الشاملة). .

- أيام العرب في الجاهلية لمحمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، ط دار الجيل بيروت ١٩٨٨م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، دار إحياء العلوم - بيروت - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
- البحر المحيط لأبي حيان التوحيدي، دار الفكر (الشاملة).
- التحرير والتنوير الطاهر ابن عاشور ط الدار التونسية .
- تحصيل عين الذهب من معدن جواهر الأدب للأعلم الشنتمري تح د/ زهير عبدالمحسن سلطان، طبع مؤسسة الرسالة ت بيروت - ط الثانية ١٩٩٤ م .
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، دار الكتب العلمية – بيروت.
- التذكرة الحمدونية لابن حمدون، موقع الوراق الإلكتروني(http://www.alwarraq.com).
- تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، مصدر الكتاب: (http://www.cultural.org.ae).
- تفسير القرآن العظيم المؤلف: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تح/ محمود حسن، الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م دار الفكر موقع مكتبة المدينة الرقمية (http://www.raqamiya.org).
- جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري،[٢٢٤ - ٣١٠ هـ] تح/ أحمد محمد شاكر، ط الأولى مؤسسة الرسالة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (www.qurancomplex.com).
- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com).
- الحماسة البصرية لصدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، تح/عادل سليمان جمال، موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com).
- الحماسة المغربية للجرّاوي، موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com).
- ديوان البحتري، عني بتحقيقه حسين كامل الصيرفي، دار المعارف مصر ط الثالثة ١٩٦٤م.

- ديوان زهير، شرحه وقدم له علي حسن فاغور، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ديوان عمرو بن كلثوم تح/إميل يعقوب، طبع دار الكتاب العربي بيروت ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- السبع المعلقات{مقاربة سيميائية/ أنتروبولوجية لنصوصها}د/عبدالملك مرتاض، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٨م.
- شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري، مط فيصل الحلبي من دون.
- شرح ديوان الحماسة، الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر،دار الكتاب العربي بيروت ط الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- شرح ديوان الحماسة، المرزوقي،علّق عليه وكتب حواشيه غرّيد الشيخ، وضع فهارسه العامة إبراهيم شمس الدين ط الأولى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٢٤ه - ٢٠٠٣م.
- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لصدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي تح/أحمد محمد شاكر، ط الأولى، الناشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ١٤١٨هـ، موقع الإسلام الإلكتروني (http://www.al-islam.com).
- شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي المسمى بـ (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل) للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، (الشاملة).

الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، تح/ يوسف علي طويل، ط الأولى دار الفكر - دمشق١٩٨٧م.
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، تح/ محمود محمد شاكر ط دار المدني ١٩٧٤م.

- عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، موقع الوراق الإلكتروني(http://www.alwarraq.com).
- فاكهة الخلفاء و مفاكهة الظرفاء لابن عربشاه، موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com) (الشاملة).
- الفرقان في بيان إعجاز القرآن أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد، الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ط الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٤٢٧/١ موقع يعسوب الإلكتروني .
- قرى الضيف لابن أبي الدنيا عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، تح/ عبدالله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف – الرياض ط الأولى ١٩٩٧م (الشاملة).
- الكامل للمبرد تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ، القاهرة، من دون .
- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ٧١/١ موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com).
- الكشكول لبهاء الدين محمد بن حسين العاملي، تح / محمد عبد الكريم النمري، ط الأولى دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.
- لسان العرب لابن منظور، ط الأولى دار صادر – بيروت من دون.
- المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي لأحمد بن علي بن معقل، أبي العباس، عز الدين الأزدي المُهَلَّبي (المتوفى: ٦٤٤هـ) تح د/ عبد العزيز بن ناصر المانع الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، دار العلوم بيروت لبنان ط الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- مختارات شعراء العرب لضياء الدين أبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري(ت ٥٤٢هـ) ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي، ط الأولى١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥م، مطبعة الاعتماد، مصر.
- مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني ١٢٧ط الأولى ١٤١٨هـ -١٩٩٨م ، مكتبة وهبة.
- المعاني الكبير لابن قتيبة الدينوري ٢٢٧/١ موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com).

- المفتاح، شرح وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.
- المفضليات لأبي العباس المفضل بن محمد الضبي، شرح أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري،عني بطبعه ومقابلة نسخه كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٢٠م.
- مقاييس اللغة لابن فارس تح/عبد السلام محمد هارون ط دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- المنصفات في الشعر الجاهلي نوري حمودي القيسي(مجلة الأقلام تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي بغداد، العدد السادس يونيو 1384هـ - ١٩٦٥م).
- المنصفات في شعرنا القديم مقال بقلم فايز على الغول، مجلة رسالة المعلم (مجلة تربوية تصدرها وزارة التربية والتعليم بالأردن العدد الأول، السنة العاشرة،أيلول تشرين الأول ١٩٦٦م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني، موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com)
- الولاء والبراء لمحمد بن سعيد القحطاني، بتقديم فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (الشاملة).
- منصفات جديدة نوري حمودي القيسي(مجلة المجمع العلمي العراقي العدد العشرون سبتمبر١٩٧٠م) .
- نصرة الثائر على المثل السائرللصفدي، موقع الوراق).
- يتيمة الدهرللثعالبي، موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com).

الهوامش والإحالات :

(١) وهي مأخوذة من القيمة الأخلاقية المتأصلة في نفوس العرب، التي تشير إلى إعطاء الحق لصاحبه، قال ابن منظور:" النَّصْفُ، والنَّصَفَةُ، والإنصاف: إعطاء الحق لصاحبه، وأنصَفَ الرجلُ صاحبه إنصافا: قد أعطاه النّصفَةً، وعن ابن الأعرابي: أنصفَ إذا أخذ الحق وأعطى الحق، والنصفة: اسم الإنصاف، وتفسيره أن تعطيه من نفسك النصف، أي: تعطيه من الحق كالذي تستحق لنفسك، ويقال: انتصفتُ من فلان: أخذت حقي كاملا حتى صرت أنا وهو على النصف سواء، وأنصف الرجل أي:عَدَل". لسان العرب (ن ص ف). أطلقت على القصائد التي أنصف قائلوها بها أعداءهم، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه

من حر اللقاء، ويقال أن أول من أنصف في شعره مهلهل بن ربيعة. ينظر: تراجم شعراء الموسوعة الشعرية١/٨٣٢ مصدر الكتاب: (http://www.cultural.org.ae).
وأول من تحدث عن هذا اللون البغدادي في الخزانة، قال:" للعرب قصائد قد أنصف قائلوها فيها أعداءهم، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حرّ اللقاء، وفيما وصفوه من أحوالهم في إمحاض الإخاء". خزانة الأدب للبغدادي ٣٢٦/٨، تح/ عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي ١٩٨١م. وأول من أشار إليها وذكر أنها من المنصفات الخالديان في الأشباه والنظائر نقلا عن رواة العرب الذين ذكروا أن منصفات أشعار العرب ثلاثة، أولها قصيدة عامر بن معشر بن أسحم(وهو المفضل النكري وذكر منها ثمانية عشر بيتا١/١٤٩ ـ ١٥١)، ثم قصيدة عبد الشارق بن عبدالعزى الجهني(١/١٥٢)، ثم قصيدة العباس بن مرداس وأوردها في ثمانية عشر بيتا(١/١٥٣، ١٥٤) ينظر:الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين للخالديين أبي بكر محمد، وأبي عثمان سعيد ١/١٤٩ ـ ١٥٤ تح/ السيد محمد يوسف، موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com)، ثم أوردها بعد ذلك شراح الحماسة (المرزوقي ٤٤٢) ، ، وصدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري في الحماسة البصرية ١/٢٥ تح/ عادل سليمان جمال، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٨٧م، موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com)،

(٢) لم أعثر له على ترجمة غير اسمه المذكور عند إيراد القصيدة في شرح الحماسة (للمرزوقي، والتبريزي)، والأشباه والنظائر للخالديان، ونشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي تح/د. نصرت عبدالرحمن ١/١٦٧ مكتبة الأقصى عمان ـ الأردن ، من دون، ولم يصل من شعره غير هذه القصيدة ـ فيما أعلم ـ .

(٣) هذه رواية المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٤٤٢علّق عليه وكتب حواشيه غرّيد الشيخ، وضع فهارسه العامة إبراهيم شمس الدين ط الأولى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٢٤ه ـ ٢٠٠٣م، وهناك روايات أخرى سأعرض لها ـ إن شاء الله ـ في مكانها، وأبين الوجه فيها.

(٤) في الحماسة البصرية ١/٢٥(وإن عزَّت)، وفي الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين للخالديين ١/٣٦،٣٧ (وإن بخلت علينا).

(٥) في الحماسة البصرية ١/٢٥ (لو شهدت))،(وقد اجتوبنا) بالجيم المعجمة.

(٦) وفي الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين، الخالديان ١ / ٣٦،٣٧ (رسولا) .

(٧) في عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ٦٥ ،٦٦شرح وتحقيق عباس عبدالساتر، مراجعة نعيم زرزور، ط الثانية دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، والحماسة البصرية ١/٢٥ (كمثل السيل).

(٨) في عيار الشعر ٦٥، والحماسة البصرية ٢٥/١، والخالديان ٣٦/١ (تنادوا يالبهثة) ، وفي عيار الشعر(فقلنا: أحسني صبرا جهينا)، وفي الخالديان ٣٦/١ ـ أيضا ـ (فقلنا أحنسوا قولا جهينا).

(٩) في عيار الشعر ٦٥، والحماسة البصرية ٢٥/١، والخالديان ٣٦/١ (نبأة).

(١٠) بعد هذا البيت في عيار الشعر٦٥، والحماسة البصرية٢٥/١، وفي الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين للخالديان ١ / ٣٦،٣٧ قوله :

فمن يرنا يقل سيلٌ عَزِيْفٌ ∴ نكِرُّ عليهم وهم علينا

وكذلك في المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبّي لأحمد بن علي بن معقل، أبي العباس، عز الدين الأزدي المُهَلَّبي (المتوفى: ٦٤٤هـ) تح د/ عبد العزيز بن ناصر المانع الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣بتغيير طفيف، حيث ورد :

فمن يرنا يقل سيلٌ أَتِيٌّ ∴ نَكِرُّ عليهم وهم علينا

ولم يذكره أبو تمام في الحماسة ولم يشر إليه الشراح (المرزوقي والتبريزي)، ولم يذكره المحقق في كليهما.

(١١) في (الخالديان) ٢٦/١ (وأسرت قينا).

(١٢) الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com) ٦٤/١.

(١٣) ينظر: التحرير والتنوير ١٩٢/٧، ١١/١٢ ،١٠٦ الدار التونسية.

(١٤) يقول د/أبوموسى:"...وكأن المقدمات هي المعارض والمعاني التي تتجلى فيها قدرات الشعراء..."مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني ١٢٧ط الأولى ١٤١٨هـ .١٩٩٨م ، مكتبة وهبة.

(١٥) ينظر شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري ١٣٩/٢ مط فيصل الحلبي.

16 ـ ينظر: منصفات جديدة نوري حمودي القيسي ١٨٦ ـ ١٩١ (مجلة المجمع العلمي العراقي العدد العشرون سبتمبر١٩٧٠م) .

17 ـ ينظر: المنصفات في الشعر الجاهلي نوري حمودي القيسي ١٥٨ ـ ١٦٤ مجلة الأقلام تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي بغداد، العدد السادس يونيو 1384هـ ـ ١٩٦٥م.

18 ـ الغرض من هذه المقارنة بيان الفرق بين مقام الفخر الطاغي ومقام إنصاف الخصم، لا ذم ما فعله عمرو بن كلثوم ـ ولا أمثاله من شعراء الفخر الطاغي ـ ، أو تنقيص تجربته ـ ألبتة ـ فكلامه خارج عن العيب إذا وُضع في مقامه الذي استدعى فعل ما فعل، فهو في مقام انتقاص منه، وإهانة لأمه، وشعور بسخرية، وتعمُّد إيذاء، ما اقتضى أن يكون معه سمت

المعنى والنظم على الضد من الإنصاف؛ إذ لا يتأتى الإنصاف مع مستحقر ساخر أراد استعباد أمه،، فموضوع معلقته مرتبط ـ كما هو معروف ـ بحادثة الطبق المشؤمة، لما التمست (هند) أم عمرو بن هند من (ليلى) أم عمرو بن كلثوم أن تناولها الطبق، فأبت، وصاحت واذلّاه، فقامت حرب ضروس انتهت بقتل ابن كلثوم عمراً بن هند، وقامت معلقته على هذا الموقف الذي نشأ عن غبن وإهانة، جعلته يذهب في الفخار بشموخ عظمة القبيلة وسؤددها كل مذهب، ويتغنى بشجاعتها، وعزّتها، وخفتها للنضح عن الشرف؛ إباءً للضيم، واستنكافا من الذل، وتجانفا عن العار أيَّما تَغَنّي.ينظر: السبع المعلقات{مقاربة سيميائية/ أنتروبولوجية لنصوصها} د/ عبدالملك مرتاض ٣٨/١، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٨م.

أما الإنصاف فيكون في معاملة الرجال بكل ما فيهم من معاني الرجولة حتى في العداوة، كما فعل شاعرنا (عبدالشارق بن عبدالعزى الجهني).

[19] ـ ديوان عمرو بن كلثوم ٧١ تح/إميل يعقوب، طبع دار الكتاب العربي بيروت ط الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م البيت الثامن والعشرون والتاسع والعشرون.

[20] ـ ديوانه ٧٢، البيت الخامس والثلاثون.

[21] ـ ديوانه ٧٤، البيت ٤٠ ـ ٤٣.

[22] ـ ديوانه ٧٥ ، ٧٦، الأبيات ٤٧ ـ ٤٩.

[23] ـ ديوانه ٩٠ الأبيات ١١١ـ ١١٤.

[24] ـ ديوانه ٩١ الأبيات ١١٨، ١١٩.

[25] ـ ينظر:الأغاني ١١/ ٤٨ ،٤٩ ، الكامل للمبرد ١٦٣/١تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ، القاهرة، من دون، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٧.

[26] ـ ينظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٥٧/١١ تح/ سمير جابر، الطبعة الثانية، دار الفكر – بيروت (الشاملة)، الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ١/ ٤٣ موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com).

[27] ـ البيت في يتيمة الدهرللثعالبي ٢٢٤/٢موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com)، وفاكهة الخلفاء و مفاكهة الظرفاء لابن عربشاه ٦٧/١ موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com) (الشاملة)، وقرى الضيف لابن أبي الدنيا عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس ٢٩٩/٥الناشر: أضواء السلف – الرياض ط الأولى ١٩٩٧تح/ عبدالله بن حمد المنصور (الشاملة)، وتفسير القرآن العظيم المؤلف: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ) ٦٤٩/٤تح/ محمود حسن الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م دار الفكر موقع مكتبة المدينة الرقمية (http://www.raqamiya.org)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع

المثاني للألوسي ١٦٩/٢٣ دار إحياء التراث العربي – بيروت ، والفرقان في بيان إعجاز القرآن أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد ١٠٤/١الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ط الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا ١٩٨/٩ دار الكتب العلمية – بيروت، نصرة الثائر على المثل السائرللصفدي ٩٧/١موقع الوراق)، وشرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي المسمى بـ (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل) للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ١٠/٢٥ (الشاملة)، الولاء والبراء لمحمد بن سعيد القحطاني ٧٨/١ بتقديم فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (الشاملة)، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لصدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي تح/أحمد محمد شاكر ط الأولى الناشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ١٤١٨هـ موقع الإسلام الإلكتروني (http://www.al-islam.com).

[28] . ينظر: المنصفات في شعرنا القديم مقال بقلم فايز على الغول صـ ٧١ مجلة رسالة المعلم (مجلة تربوية تصدرها وزارة التربية والتعليم بالأردن العدد الأول، السنة العاشرة،أيلول تشرين الأول ١٩٦٦م.

[29] . ينظر: المنصفات في شعرنا القديم ٧٣ .

[30] . المفاد من التعبير بـ (أضمانتا)، قال ابن فارس :"الهمزة والضاد والميم أصلٌ واحدٌ وكلمة واحدة، وهو الحقد..." مقاييس اللغة لابن فارس تح/عبد السلام محمد هارون ط دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ، وقال ابن منظور :" الأَضَمُ الحِقْدُ والحسَدُ والغضَبُ، ويجمع على أَضَماتٍ ....) لسان العرب (أ ض م) ط الأولى دار صادر – بيروت من دون.

[31] . ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٣.

[32] . المفضليات لأبي العباس المفضل بن محمد الضبي ٦٥٤، بشرح أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، عني بطبعه ومقابلة نسخه كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٢٠م.

[33] . ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٣.

[34] . ينظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢٣٠ .

[35] . ينظر: السابق والصفحة.

[36] . وفي الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري موقع الوراق الإلكتروني ١/ ٢٥(http://www.alwarraq.com) .

[37] . ينظر: اللسان (ج و ا) .

[38] . المقاييس (ج و ي) .

[39] ـ قال المرزوقي: "ومع ذكر الأضم اجتوى بالجيم أشبه وهو أقرب" شرح ديوان الحماسة ٤٤٣، وقال التبريزي:" ويروى اجتوينا ...، وهذه الرواية جيدة لمكان الأضمات من البيت" التبريزي ٢٣٠ .

[40] ـ ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٥.

[41] ـ ينظر : شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢٣١.

[42] ـ ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٥، والتبريزي ٢٣١.

[43] ـ ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٧، والتبريزي ٢٣٢.

[44] ـ ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٧.

[45] ـ في الحماسة البصرية٢٥/١، وعيار الشعر١٩/١: فلما لم ندع قوسا ورمحا .....

[46] ـ ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٧، والتبريزي ٢٣٢.

[47] ـ ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٧.

[48] ـ ينظر: مقاييس اللغة، لسان العرب (ع ز ف) .

[49] ـ في عيار الشعر ١٩/١، والحماسة البصرية ٢٥/١ (كمثل السيل) وهي ـ عندي ـ أقوى وأنسب بالمجيء؛ ولهذا جرى شرح الشيخين المرزوقي والتبريزي عليه كما سيتضح في الشرح .

[50] ـ ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٥، والتبريزي ٢٣١.

[51] ـ ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٨، والتبريزي ٢٣٢.

[52] ـ ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٨.

[53] ـ ينظر: اللسان (ر ب أ) .

[54] ـ ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٤.

[55] ـ البيت الثاني والخمسون من معلقته في ديوانه ٧٧.

[56] ـ البيت لأبي تمام في ديوانه ١٠/٢شرح الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر،دار الكتاب العربي بيروت ط الثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي ٢٠٦/٢ تح/ يوسف علي طويل ط الأولى دار الفكر – دمشق١٩٨٧م، والحماسة المغربية للجرّاوي٣١/١ موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com)، والكشكول لبهاء الدين محمد بن حسين العاملي ٣٠٨/١ تح / محمد عبد الكريم النمري ط الأولى دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٨هـ –١٩٩٨م، وبلا نسبة في العقد الفريد ٦٠/١ (الشاملة).

[57] ـ ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٤، وهو عجز بيت، صدره: (تَسَرَّعَ حتى قال من شهد الوغى) للبحتري في ديوانه ١٧٨/١عني بتحقيقه حسين كامل الصيرفي، دار المعارف مصر ط الثالثة ١٩٦٤م، وفي الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني ٦٥/١ موقع

الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com)، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ٧١/١ موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com).

58 . ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٥، والتبريزي ٢٣٠.

59 . ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٥.

60 . الأصمعيات لأبي سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعي ٢٠١تح / أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون ط الخامسة دار المعارف من دون.

61 . ينظر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ١٤٦/١ تح/ محمود محمد شاكر ط دار المدني ١٩٧٤م ، أيام العرب في الجاهلية لمحمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم ٣٣٢ ط دار الجيل بيروت ١٩٨٨م .

62 . ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٦.

63 . ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٨.

64 . كما سبق وتبين في الخصيصة الأولى ، وكما سيتبين إن شاء الله في الحديث عن الخصيصة الثالثة (التعبير عن المعاني بين التصوير والتجريد) .

65 . ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٨.

66 . الحَجْل: أن يرفع رِجْلاً ويَقْفِز على الأُخرى من الفَرَح. ينظر اللسان(ح ج ل)، قال ابن فارس: مرَّ فلان يحجل في مشيته أي: يتبختر" المقاييس (ح ج ل).

67 . رَدَى يَرْدِي رَدْياً ورَدَياناً إذا رَجَم الأَرضَ رَجْماً بين العَدْو والمَشْي الشديد. ينظر: اللسان (ر د ي).

68 . ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٨.

69 . ينظر: اللسان (ر د ي) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٨، والتبريزي ٢٣٢.

70 . ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٨.

71 . اللسان (ر د ي).

72 . وقريب منه قول عمرو بن كلثوم:

بِفِتيانٍ يَرَوْنَ القَتْلَ مَجداً ∴ وَشِيبٍ في الحُرُوبِ مُجَرَّبِينَا

73 . ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٩.

74 . ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٩، والتبريزي٢٣٢ .

75 . صـ ٤٤٩.

76 . ديوانه ٧٠، ٧١ ، البيت الحادي والثلاثون والثاني والثلاثون.

77 . ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٥٠.

78 . السابق والصفحة .

79 . أي: إذا رموا من مدى بعيد غشيهم بالرمح فإذا اطعنوا دخَل تحت الرماح وضارب فإذا ضاربوا دخل تحت السيوف فاعتنق، إنما أراد أن يخبر أنه أقربهم منهم، وألزقهم بهم. المعاني الكبير لابن قتيبة الدينوري ٢٢٧/١ موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com)، والبيت من البسيط لزهير في ديوانه٧٧شرحه

وقدم لع علي حسن فاغوردار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ط الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، مختارات شعراء العرب لضياء الدين أبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري(ت ٥٤٢هـ) ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي ط الأولى١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥م مطبعة الاعتماد، مصر، والأغاني ١١٢/٦، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون١/٤٣٢ موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com)

80 ـ ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٩.

81 ـ والأحاح: اشتداد الحزن أَو العَطش، أ والتوجع من الغيظ أَو الحزن أوالضِّغْنُ أوحرارة الغم ...، وأَحَّ القومُ يَئِحُّونَ أَحّاً إِذا سمعت لهم حفيفاً عند مشيهم. ينظر في ذلك اللسان (أ ح ح).

82 ـ ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٦.

83 ـ الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٤٢٧/١ موقع يعسوب الإلكتروني .

84 ـ المقاييس (ق و م).

85. ينظر في ذلك: المفتاح، شرح وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م، الإيضاح ، دار إحياء العلوم ـ بيروت ـ ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

86. ينظر في ذلك: تحصيل عين الذهب من معدن جواهر الأدب للأعلم الشنتمري تح د/ زهير عبدالمحسن سلطان، طبع مؤسسة الرسالة ت بيروت ـ ط الثانية ١٩٩٤ م .

87. ينظر في ذلك: البحر المحيط ١٠٨/٢ دار الفكر (الشاملة).

88. ينظر في ذلك: مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٢٧٧/٦، دار العلوم بيروت لبنان ط الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .

89 ـ ينظر في ذلك: البحر المحيط ٦/ ١٠٦ .

90 ـ ينظر في ذلك: جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ - ٣١٠ هـ] تح/ أحمد محمد شاكر، ط الأولى مؤسسة الرسالة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (www.qurancomplex.com) ٥٧٢/٤، ٥٧،٥٨/١٨، ٣١٦، البحر المحيط ٦/ ١٠٦.

(91) ـ ينظر: المقاييس (أ ت ي).

(92) ـ وهو ما يشهد له قول المرزوقي في شرح البيت : " تسارعوا مقبلين نحونا ...." ٤٤٥.

(93) ـ المقاييس (ع ر ض).

(94) ـ مقاييس اللغة (ع ر ض).

(95) ـ ينظر: المقاييس ، واللسان (ع ر ض) .

(96) ـ ص ٤٤٥.

(97) ـ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٥ .

98 ـ ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٤٤٥.

(99) ـ ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٨.

(100) ـ ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٤٦.

(101) ـ وهذا لا يدخل فيه من الأفعال ما جمع فيه بين الفريقين .